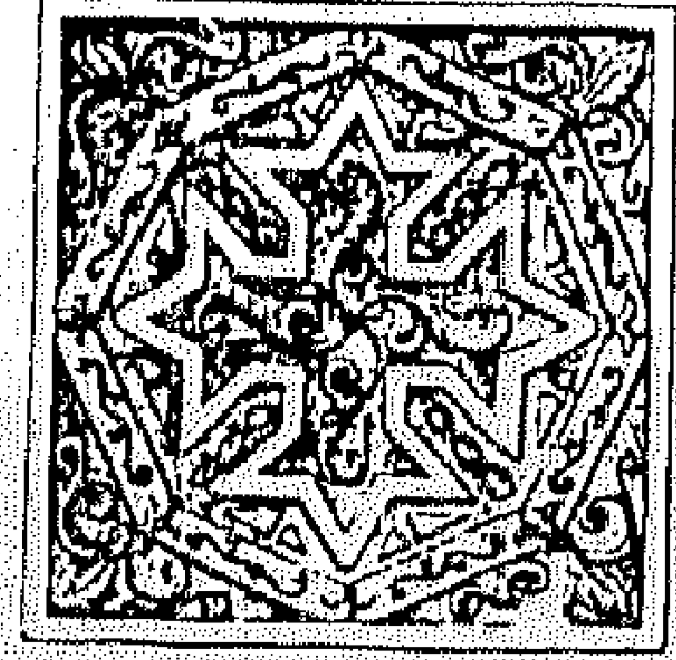
مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية



دراسات آبائية

ـ ١٦ ـ



المسيح ورسالته

أعمال المؤتمر السنوى الثامن للدراسات الآبائية

(أبوتلات ـ الأسكندرية ١٩٩٩)

يوليو ٢٠٠٠م

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية
دراسات آبائية
ـ ١٦ ـ

المسيح ورسالته

أعمال المؤتمر السنوى الثامن
للدراسات الآبائية
(أبوتلات ـ الأسكندرية ١٩٩٩)

اسم الكتب : المسيح ورسالته

اسم المؤلف : أعمال المؤتمر السنوى الثامن للدراسات الآبائية سبتمبر ١٩٩٩م

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ــ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة: ٨(ب) ش إسماعيل الفلكى، محطة المحكمة ، مصر الجديدة، تليفاكس: ٢٤١٤٠٢٣

E-Mail: santonio@ritsec3.com.eg

اسم المطبعة : المركز المصرى للطباعة

١ ش جلال عبد الجواد منشية السد العالى حى السلام ت:٢٩٧٧٥٢٢

رقم الإيداع : ١١٣٩٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : *977 - 5057 - 30 - 2*



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

هذا الكتاب يحوى مجموعة المحاضرات التي ألقيت في "المؤتمر السنوي الثامن للدراسات الآبائية الذي أنعقد في الفترة من ٧ـ١٠ سبتمبر ١٩٩٩ ببيت كنيسة القديسين جاورجيوس والأنبا أنطونيوس ، بأبوتلات بالأسكندرية.

كان العنوان العام لكل محاضرات المؤتمر هو :

" المسيح ورسالته "

وذلك بمناسبة نهاية الألفية الثانية لميلاد رب المجد يسوع المسيح.

ويشمل الكتاب سبعة محاضرات عن : المسيح فى العهدين ، ومحاضرتين عن " الإيمان بابن الله" ، ومحاضرة عن " تعاليم السيد المسيح عن ملكوت السموات "، ومحاضرة عن " المسيح والإنسان " وأخرى عن "المسيح والمجتمع " ، ومحاضرة أخيرة عن " التجسد والفداء " .

واشتمل المؤتمر بالإضافة إلى المحاضرات على ورش عمل حول موضوعات "الظهورات الإلهية فى العهد القديم"، و" الذبائح "، و " الرموز " وعن ملكوت الله والمجئ الثانى ، و " أمثال الملكوت " .

كما اشتمل المؤتمر على أمسيتين حول " المسيح والآباء " و " المسيح والإنسان والمجتمع " .

حضر المؤتمر حوالى ٢٠٠ من الكهنة والخدام والخادمات والشباب من المهتمين بالدراسات الآبائية من القاهرة والأسكندرية والإبرشيات الأخرى بالأقاليم .

نتوسل إلى المسيح إلهنا ومخلصنا أن يبارك هذا العمل بقوة روحه القدوس لأجل بنيان الكنيسة ونموها ويعطى ثمارًا متكاثرة لمجد الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس ، الآن وإلى الأبد ،

١٢ يوليو ٢٠٠٠م
٥ أبيب ١٧١٦ ش
عيد الرسل القديسين

المركز
الأرثوذكسى للدراسات الآبائية
مؤسسة القديس أنطونيوس

المحتويات

المسيح في العهدين

أ/ رضا توت

يتوزع الإيمان المسيحي ــ كتابياً ــ ما بين العهد القديم والعهد الجديد. والفكرة الأساسية في موضوع العهد هي أنَّ الله يريد أنْ يقود كل البشر نحو حياة الشركة معه، وهذه هي ذات الفكرة الرئيسية للخلاص. أى أن هناك ارتباط وثيق بين مفهوم العهد وتدبير الخلاص . وهذا هو ما يسود سائر كتب العهد القديم، وهو ما أكتسب الملء في العهد الجديد في المسيح يسوع (١).

فما سبق وتعهد به الله تجاه الإنسان، سواء كان أمام أبونا إبراهيم أو موسى، أو ما أكده الأنبياء على مدى تاريخ العهد القديم كله، هو ما تحقق في المسيح يسوع الذي به أُفتُتِحَ العهد الجديد، فشخصية الرب يسوع هي التي تجمع العهدين معًا، القديم والجديد. ولذلك، فاليهودية والمسيحية تعتبران خطاً واحداً أو منهجاً متكاملاً يشتمل على الأفكار كما يشمل التطبيقات.

وإذا كان العهد الجديد يعتبر تحقيقاً للعهد القديم، فالقراءة المسيحية للعهد القديم لا معنى لها إلاّ في ضوء المسيح، بمعنى أنَّ العهد القديم لا يفسره إلاّ المسيح؛ لأن الحقيقة هي التي تشرح الرموز والظلال، لا الرموز والظلال هي التي تشرح الحقيقة، فلا يفسر الظل إلاّ النور. وليس هذا المنهج بدعاً من البدع؛ لأن صاحبه هو السيد المسيح نفسه. ففي حادثة تلميذي عمواس

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي – عهد – ص ٥٧٣ وما بعدها.

يورد القديس لوقا الإنجيلي في الإصحاح ٢٤ : ١٣-٣٥ ما جاء على لسان السيد المسيح مخاطباً إياهما "أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أنْ يتألم المسيح بهذا ويدخل إلى مجده، ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب"، فالسيد المسيح له المجد يتكلم هنا عن نفسه باعتباره محور نبوات العهد القديم، ويشرح لهذين التلميذين كيف أنَّ الإيمان به ينطلق من كتابات الأنبياء هذه اعتباراً من موسى النبي إلى يوحنا المعمدان، وإنه هو التفسير الذي تحقق ، لهذه الكتابات والنبوات.

وفي الحقيقة فإن النص المشار إليه عند القديس لوقا ليس فريداً من نوعه بين نصوص العهد الجديد، بل هناك العديد من هذه الإشارات التى ترد فى العهد الجديد كله نذكر منها: "فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء" (يو ١ : ٤٥). "وكان قد أوحي إليه بالروح القدس إنه لا يرى الموت قبل أنْ يعاين مسيح الرب" (لو ٢ : ٢٦). "فهي في تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم" (لو٢ : ٣٨). "بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو رسولاً، المفرز لإنجيل الله الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة " (رو١:١). "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح .. الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨ : ٥٦).

إذن يسوع هو حبة الحنطة المزروعة في العهد القديم والتي أتت أُكلها في العهد الجديد (٢). السيد المسيح له المجد هو لُب وخلاصة العهد القديم،

(٢) منيف حمصي، هل يُلغى العهد القديم ص ٤٣ وما بعدها الطبعة الأولى ١٩٩٥ بيروت. استفدنا كثيراً من هذا الكتاب واعتمدنا عليه باعتباره أحد المراجع الأساسية في هذا الموضوع.

بل هو محور نبوات الأنبياء. فالنبوات التى جاء بها الأنبياء كانت في حركة إلى الأمام، إلى الآتي، إلى يسوع المسيح. كان الأنبياء يقودون الناس نحو يسوع المسيا المنتظر. ولذلك فلا عجب، فإنّ حدث التجلي يكشف عن عميق الصلة بين الأنبياء والرب. وعندما يقول الرسول بولس في غلاطية (٤:٤-٥) "ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس"، فإنّ ذلك يعني أنّ العهد القديم هنا يتحرك نحو ذروته. ذروة العهد القديم ملء الزمان.

من كل ما سبق يتضح لنا أنّ هناك صلة عميقة بين كلا العهدين لا سيما وإنّ العهد القديم كما أسلفنا، هو ظل للآتي "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة، لا نفس صورة الأشياء لا يقدر .. أن يكمل الذين يتقدمون" (عب ١٠ : ١).

إذن هناك ظل – رمز – مثال، وهناك حقيقة. وإذا كانت الحقيقة هي التي تشرح الظل، فإننا – عندئذ – نخطئ خطأً شديداً عندما نحصر السيد المسيح في ظلال ورموز. فالظلال والرموز لا تقدر أنْ تشرح إلاّ – فقط – ظل الخلاص، أمّا عندما يأتي الحق، فالخلاص الحقيقي قد حضر.

المسيح :

عمَن نتكلم؟ مَن هو المسيح الذي نفتش عنه ونريد أنْ نراه في العهدين؟

كان غرض الآباء الأساسي عندما دافعوا عن المسيح ضد الهرطقات، هو الدفاع عن الخلاص، ولذلك نجد أنّ القديس أثناسيوس الرسولي يتمسك بشدة بألوهية السيد المسيح؛ لأن ما هو غير ذلك يُعرّض خلاص الإنسان للهلاك والخطر، وهذا هو ما نلاحظه في كتاباته ضد الأريوسيين. وليس

هذا المنهج وفقاً على القديس أثناسيوس، ولكنه ذات المنهج المتبع عند البابا القديس كيرلس الإسكندري عمود الدين، فهو يفهم معنى كلمة "المسيح" كالآتي:

"بسبب تعدي آدم "ملكت الخطية على الكل، وفارق الروح القدس الطبيعة البشرية التي صارت مريضةً في كل البشر، ولكي تعود الطبيعة البشرية من جديد إلى حالتها الأولى احتاجت إلى رحمة الله، لكي تحسب بموجب رحمة الله مستحقةً الروح القدس، لذلك صار الابن الوحيد كلمة الله إنساناً، وظهر للذين على الأرض بجسد من الأرض ولكنه خال من الخطية، حتى فيه وحده تتوج الطبيعة البشرية بمجد عدم الخطية، وتغتني بالروح القدس، وتتجدد بالعودة إلى الله بالقداسة. لأنه هكذا تصل إلينا النعمة التي بدايتها المسيح البكر بيننا، ولهذا السبب يعلمنا داود النبي المبارك أنْ نرتل للابن "أنت أحببت البر وأبغضت الإثم لذلك مسحك الله إلهك بزيت البهجة" (مز ٤٥ : ٧) فكأن الابن قد مُسح كإنسان بمديح عدم الخطية. وكما قلت إنّ الطبيعة البشرية قد مُجّدت فيه وصارت فيه مستحقةً للحصول على الروح القدس الذي لن يفارقها كما حدث في البدء، بل صارت مسرته (الروح القدس) أنْ يسكن فينا – لذلك أيضا كُتب أنّ الروح القدس حل بسرعة على المسيح واستقر عليه (يو١: ٣٢)، فالمسيح هو كلمة الله الذي لأجلنا صار مثلنا في صورة العبد، ومسح كإنسان حسب الجسد، ولكنه كإله يمسح بروحه الذين يؤمنون به" (٣).

كما يعني بكلمة " عمانوئيل " الآتى:

---

(٣) شرح تجسد الابن الوحيد – ترجمة د. جورج حبيب بباوي ص ١١، ١٢ طبعة أولى ١٩٧٥- القاهرة.

"ولكنه معنا لأنه صار مثلنا أي أخذ طبيعة بشرية دون أنْ يفقد طبيعته الإلهية؛ لأن كلمة الله غير متغير بطبيعته .. لأن العذراء القديسة حبلت بالروح القدس وولدت حسب الجسد ابناً، عند ذلك فقط دُعي المولود عمانوئيل .. لأن الكلمة قبل أنْ يتجسد تحدث من خلال الأنبياء، ولكنه صار معنا متجسداً " (٤).

كما يقول القديس كيرلس عن "يسوع":

"الاسم "يسوع" جاء من الحقيقة " أنه سيخلّص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١)... هكذا أيضاً "يسوع" لأنه خلصنا نحن شعبه. وهذا الاسم يوضّح أنه الله بالحقيقة ورب الكل بالطبيعة؛ لأنه لا يليق أنْ تكون الخليقة ملك لإنسان، بل من اللائق أنْ نقول إنّ كل الأشياء هي للابن الوحيد حتى وهو في الجسد" (٥).

إذن بالنسبة للمؤمنين المسيح هو: "المخلّص" (مت١: ٢١)، و"الإله" (يو ٢٠ : ٢٨)، و"القيامة" (يو١١: ٢٥)، و"الحياة الأبدية" (لو١٠: ٦)، و"الشفيع" (رو٨: ٣٤)، بل و"المالك" ليس للجسد فقط بل والروح أيضاً (٢ كو٥ : ١٥-١٨).

إذا كان هذا هو "مسيحنا"، فإننا نستطيع أنْ ندرك – إذن – سر الصراع المرير بين الأرثوذكسية والهرطقات، وبين الإيمان المستقيم والآراء الغريبة التي حاولت أنْ تغير شكل يسوع في نظر المؤمنين به والتالي تغير العلاقة بينه وبينهم.

(٤) المرجع السابق ص ١٣، ١٤.

(٥) المرجع السابق ص ١٤.

العهدين:

العهد القديم والعهد الجديد، كلاهما فترة تاريخية، ولكننا لا نتكلم عن مجرد تاريخ، بل تاريخ العلاقة بين الله والإنسان. نتكلم عن خط صاعد يبدأ من الله الخالق ويكتمل بالله المخلص. ومن هنا فليس ثمة انفصال بين العهدين، وإنما وحدة بين العهد القديم والجديد، وهو ما قرره مؤتمر الدراسات المسكونية المنعقد في أكسفورد ١٩٤٩م:

"إنّ وحدة العهدين القديم والجديد ليست قائمة على تطور طبيعي، ولا على تماثل تعوزه الحياة والحركة، إنما على فعالية عمل الله الخلاصي في تاريخ شعب واحد بلغ كماله في المسيح. لذا فمن المهم جداً أنْ نفسر العهد القديم على ضوء الإعلان الكامل في شخص المسيح يسوع كلمة الله المتجسد الذي منه انبثق كل إيمان الكنيسة بالثالوث. إنّ يسوع لم ينقض العهد القديم ولم يبطله، بل حققه. وهكذا فالعهد الجديد ليس ملحقاً أو فصلاً تفسيرياً للعهد القديم، إنما تتمة وتحقيق لوعده ومفتاح لمعناه. بعد تحقيق الانتظار الماسياني أصبح بالإمكان فهم العهد القديم في ضوء المسيح" (٦).

تطبيق:

١- على مستوى النبوات:

إنّ افتتاحية الرسالة إلى العبرانيين "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء كلمنا أخيراً في ابنه" تشير إشارةً واضحةً إلى أنّ يسوع هو محور النبوة في العهد القديم، كما أن العهد الجديد يعي تماماً أنه يحقق العهد القديم ويحققه "موسى والأنبياء تكلموا عني" (لو ٢٤ : ٢٧).

(٦) ف. كيزيتش: المسيح في الأناجيل - تعريب الأب ميشال نجم - منشورات النور - بيروت ١٩٨١ ص ٢٨.

وفي الحقيقة نحن لا نستطيع أنْ نقدم هنا حصراً لكل نبوات الكتاب المقدس في العهد القديم الخاصة بالمسيح وعمله، فهذا أمرٌ ظاهرٌ للكل، ولكننا نستطيع أنْ نؤكد أنَّ سفراً مثل إشعياء مثلاً يؤلف في ذاته قفزة لا تستقر ولا تهدأ إلاَّ في يسوع المسيح، ولذلك أُطلق عليه النبي الإنجيلي. وبالتالي فإن كل هذا يأتي ليؤكد أنَّ أسفار العهد القديم كلها، والنبوات تصبح عديمة الجدوى والفائدة ولا مبرر لها إذا قُرأت بعيداً عن نور يسوع في العهد الجديد، فيسوع يعلن صراحة وبسلطان أن العهد القديم ناقص بدونه وذلك رغم الإقرار بقدسيته "ما جئت لأنقض بل لأكمل".

٢ــ على مستوى الرموز:

وهنا نود أنْ نلفت النظر إلى أنَّ هناك من الرموز في العهد القديم ما كان غامضاً تماماً ومستعصيًا على الفهم، لم يُفَك لغزه إلاَّ في العهد الجديد، فالمَن، والصخرة، والحية النحاسية على سبيل المثال لم تكن أكثر من معجزات تثبت قدرة الله على العمل وليس أكثر من ذلك، ولكنها أخذت معناها الحقيقي في العهد الجديد.

فبالنسبة للمَن كانت الجموع تطلب الرب بعد معجزة إشباع الجموع (يو ٦) ولكن السيد المسيح له المجد يقول: الحق الحق أقول لكم أنكم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات (إشارات)، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي الذي للحياة الأبدية" يسوع هنا يوبخهم على تمسكهم بمظهر المعجزة المادي وقصورهم عن بلوغ الحقيقة الأسمى التي تشير إليها المعجزة، وهي أنَّ المسيح نفسه هو خبز الحياة [٧]، وهو

(٧) المسيح حياتنا كلنا. مجلة مرقس يونيه ١٩٨٧م ص:٢٨.

الأمر نفسه الذي نراه أيضاً في **الحية النحاسية** "كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان"، كذلك رأى بولس المسيح يسوع في **الصخرة** التي شربوا منها شراباً روحياً وتابعتهم وكانت الصخرة المسيح (١كو ١٠: ٤)

وبشكل آخر، المسيح هو **شجرة الحياة**[٨]، وهو من أعمق الرموز التي وردت في العهد القديم حيث يخبرنا سفر التكوين بأسلوب سري أنها كانت مغروسة في وسط الجنة (تك٢: ٩) أي أنها كانت معروضة على آدم لتكون مركزاً لاهتمامه، والغريب أن آدم وحواء لم يلاحظاها قط، بل إنَّ الحية وقعت في خطأ في الرؤية إذ تراءى لهما أنَّ شجرة معرفة الخير والشر هي التي كانت في وسط الجنة (تك٣:٣) مع أن (تك٢: ٩) تخص هذه الشجرة بتلك الصيغة وحدها. وهذا يعني أنها جعلت شجرة المعرفة في مركز اهتمام الإنسان بدلاً من شجرة الحياة.

ولأن المسيح يجب أنْ يكون هو شجرة الحياة في بؤرة اهتمامنا، وإلاَّ فالسقوط، يقول بولس "إذ لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو١: ٢٨).

ويخبرنا سفر التكوين إنَّ الله أقام الكاروبيم بعد سقوط آدم لحراسة طريق شجرة الحياة "لئلا يأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد" (تك٣: ٢٢) وهنا نلاحظ أن عبارة "يأكل ويحيا إلى الأبد" تكررت على فم الرب كما هي مرتين في يوحنا (٦: ٥١، ٥٨) وذلك في معرض حديثه عن الخبز الحي مشيراً بهذا التطابق اللفظي إلى أنه هو شجرة الحياة

(٨) المسيح حياتنا كلنا. مجلة مرقس مايو ١٩٨٧م ص: ٢٧ وما بعدها

الحقيقية التي مَن يأكل منها يحيا إلى الأبد. ومما يزيد الأمر توكيداً أن يوحنا عندما سجل هذه الكلمات باللغة اليونانية كان يعي قصد معلمه تماماً، فاستخدم نفس الكلمات الواردة في الترجمة السبعينية لسفر التكوين "يأكل....فيحيا إلى الأبد" (يو٦: ٥١= تك٣: ٢٢ في الترجمة السبعينية)، ومن ثم يعود ويؤكد ذلك القديس يوحنا في سفر الرؤيا: "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله" (رؤ٢ : ٧).

٣- الصفات الواحدة لله في العهد القديم والمسيح في العهد الجديد:

على سبيل المثال، فصفة الحي أو الحياة هي من الصفات التي وُصِفَ بها الله في العهد القديم ووصف بها المسيح نفسه في العهد الجديد. فالله هو مصدر حياة كل إنسان على المستوى الطبيعي "الذي بيده نفس كل حي" (أي ١٢ : ١٠) والله هو الذي يُحي الإنسان على المستوى الروحي حيث تتكرر كلمة "أحيني" ١٥ مرة في المزمور ١١٩[٩]. وكلمة الله هي مصدر حياة الإنسان "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" والله نفسه هو ينبوع الحياة "لأن عندك ينبوع الحياة" مز ٣٦ : ٩.

وفي تعليقه على نص متى ١٦ : ١٦ "أنت هو المسيح ابن الله الحي" يقول العلامة أوريجينوس:

"إنّ اعتراف بطرس للمخلص قائلاً: أنت هو المسيح، بينما كان اليهود يجهلون أنه هو المسيح كان حقاً شيئاً عظيماً، ولكن الأعظم من ذلك هو معرفته أنه ليس فقط المسيح، بل أيضاً ابن الله الحي، أي ابن القائل في الأنبياء "حي أنا يقول الرب" (أر ٢٢ : ٢٤) وأيضاً "تركوني أنا ينبوع

---

(٩) المرجع السابق ص:٢٣.

المياه الحية" (أر ٢ : ١٣) فالمسيح حقاً هو الحياة لكونه من الآب الذي هو الحياة، ولذلك قال عن نفسه "أنا هو الحياة" (لو ١٤ : ٦)".

كذلك يقرر القديس كيرلس الكبير أن المسيح في صميم كيانه هو الحياة. ففي تعليقه على يو ١ : ٤٠ "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة" يقول:

"أنه لا يقول فقط أن كل شيء به كان، بل أنه "الحياة" كان في كل ما كان. "الحياة" أي الوحيد كلمة الله، بدء كل الكائنات واستمرار وجودها سواء ما يُرى وما لا يُرى ... فإنه هو في ذاته الحياة بحسب الطبيعة، وهو ينعم على الكائنات بطرق متعددة بالوجود والحياة والحركة، ليس بمعنى أنه يجوز نوعاً من التجزئة والتغيير إلى كل واحد من الأشياء المختلفة بحسب الطبيعة ولكن بمعنى أن كل خليقة تجد ذاتها تتشكل بطريقة مختلفة بواسطة قوة الخالق وحكمته الفائقة. فواحدٌ إذنْ هو "حياة الكل" الذي يحل في كل واحد من الأشياء بالكينونة التي تناسبه وبالقدر الذي يستطيع أن يشترك فيه".

نحن لا نستطيع أن نتكلم على كل التطبيقات من رموز ونبوات وخلافه، وإنْ كنا قد اكتفينا بما ذكرنا إلاّ أن نبوات الكتاب لا تحصى ولا تعد، وكما أشرنا سابقاً لسفر إشعياء، نشير أيضاً إلى سفر المزامير فهو كافٍ بحد ذاته للنطق بحقيقة أن المسيح هو محور التاريخ المقدس، وإنّ نظرةً واحدةً على طقس أسبوع الآلام لكنيستنا القبطية كافية جداً أن ترينا كيف تقرأ الكنيسة العهد القديم. بل إنّ نظرة واحدة للقداس الغريغوري (للابن) خليقةٌ بأنْ ترينا هذا المزيج الفريد والرؤية العميقة للمسيح في

العهدين، وكذلك نستطيع أنْ نؤكد أنه لا قراءة للكنيسة للعهد القديم إلاَّ في ضوء المسيح.

خاتمة:

إنَّ نظرةً عميقةً إلى الكتاب المقدس بعهديه، ترينا أن التاريخ الكتابي القائم على العهدين يتدرج ويرتقي عبر المراحل التالية:

١- ولادة الإنسان وخلق العالم.

٢- خطية الإنسان وسقوطه.

٣- ولادة المسيح.

٤- ملء الخلاص في الرب يسوع المسيح [١٠].

إذن العهدان متكاملان، يحقق القديم في الجديد غايته، ويجد الجديد في القديم جذوره، ومَن يربط بين الاثنين هو شخص ربنا يسوع المسيح.

---

(١٠) منيف حمصي مرجع سابق ص ٥٠.

الإيمان بابن الله : روحيًا ولاهوتيًا

د. نصحى عبد الشهيد

" المسيح ابن الله الحى "

أولاً : معنى أن يسوع المسيح ابن الله :

١ـ اعتراف بطرس :

سأل السيد المسيح تلاميذه ، ماذا يقول الناس عنه، أنه هو ، فقالوا : البعض يقولون إنه المعمدان وآخرون إنه إيليا أو إرميا أو واحد من الأنبياء، فلما سألهم ، وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ أجاب بطرس: " **أنت هو المسيح ابن الله الحى** " .

فطوبه الرب على هذا الاعتراف قائلاً : " طوبى لك يا سمعان .. إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات " (متى١٦: ١٣ــ١٩).

وأكمل الرب حديثه لبطرس مؤكدًا أن هذا الاعتراف والإيمان بابن الله الحى هو الصخرة التى يبنى عليها كنيسته وأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها مادامت مبنية على هذا الإيمان (أنظر مت١٦: ١٨).

+ فى شخص يسوع المسيح يُعلن ويُكشف " سر الله الذى لا يُفحص " ــ السر المكتوم منذ الدهور والذى لم يكن معروفًا حتى للملائكة ــ نعم هذا السر يُكشف فى المسيح وبواسطة المسيح بإعطائه الروح لنا .

يؤكد المسيح هنا فى حديثه لبطرس أن معرفة واكتشاف إنه المسيح ابن الله أُعطى له بإعلان داخلى من الآب ، وأنه لم يحصل عليه من " لحم ودم" أى من البشر ، أى أن هذه المعرفة والاكتشاف أنه هو " المسيح ابن الله "

ليست معرفة مصدرها البشر وعقل البشر الجسدانى ، بل مصدرها روح الله الذى ينير به الله قلب الإنسان ليعرف حقيقة ابنه الوحيد يسوع المسيح .

٢ ـ الآب يشهد لابنه :

الآب يشهد ليسوع أنه ابنه الحبيب:

أ ـــ وقت المعمودية فى الأردن: " هذا هو ابنى الحبيب " (مت٣:١٧) "أنت ابنى الحبيب " (مر ١:١١، لو٣:٢٢).

ب ـــ على جبل التجلى : " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " (مت ١٧:٥)، " ابنى الحبيب له اسمعوا " (مر ٩:٧، لو ٩:٣٥).

٣ ـ وشهد يوحنا المعمدان عن يسوع : أن الذى أرسله ليعمد بالماء (أى الله الآب) قال له : " الذى ترى الروح **نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس** "، وختم المعمدان شهادته بالقول : " وأنا قد رأيت (أى رأيت الروح نازلاً مثل حمامة واستقر عليه) وشهدت أن هذا هو ابن الله " (يو ١:٣٣ـــ٣٤).

٤ ـ معنى أن يسوع هو ابن الله :

" فى المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسديًا " (كو٢:٩)

وهذا معناه أن المسيح هو إعلان سر الله بملئه ـــ بطريقة كاملة وشخصية ـــ هو إعلان لحياة الله، المسيح هو كشف لمحبة الله، هو كشف لقداسة الله، هو كشف للثالوث الإلهى. فنحن فى المسيح ، نعرف الآب. المسيح هو الابن المتجسد، هو كلمة الله الصائر جسدًا ، وعن طريق تجسده فإنه يجعل ملء اللاهوت هذا يدخل فى الزمان والمكان ـــ الخاصين بالكائنات المخلوقة والساقطة .

وهكذا نجده يقبل لنفسه سلسلة أنساب (كالبشر)، ويصير منتسبًا إلى شعب ، وإلى أم يأخذ منها جسمًا حيًا ، ويصير إنسانًا حقيقيًا.

٥ ــ فى الإعلان الإنجيلى عن المسيح، نجد أن المسيح هو صورة الآب، كما يقول هو عن نفسه " من رآنى فقد رأى الآب " (يو١٤ :٩) والتأكيد الأساسى فى الإنجيل ينصب على الخدمة المتبادلة التى توحّد المسيح بأبيه: فالمسيح يعلن الآب، ويصلى إلى الآب، ويعلّم الناس كيف يُصلّون إلى الآب، كما يؤكد فى نفس الوقت (كما ذكرنا أنظر مت١٦ :١٣ــ١٩) أن كل شهادة عن حقيقته (من يكون هو)، وعن مسيانيته إنما يعلنها الآب وليس اللحم والدم .

٦ ــ والحديث عن شخص المسيح ورسالته يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الصليب والقيامة ثم التمجيد النهائى فى الصعود . فالتجسد والصليب والقيامة والصعود تشكل مراحل مترابطة للخلاص. ثم يلزم أن نؤكد أيضًا أن سر الخلاص هذا يصل إلينا فى الكنيسة بفضل يوم الخمسين.

٧ ــ والإنجيل أيضًا ، يجدد الرجاء الأخروى فى الكنيسة ــ أى عودة المسيح فى مجيئه الثانى ــ هذا الرجاء مرتبط داخليًا بسر الخلاص. والرجاء الأخروى لا يمكن أن يُحصر فى نهاية حياة الفرد أو فى نهاية عالمنا الحاضر، فالمسيح فى الأناجيل ، يعلن نفسه إنه هو " الجدة الأبدية " ويظل دائمًا هكذا، فهو الذى يطوق بملئه كل الزمان كما يدخل الزمان لكى ينهى عليه. لذلك فالإفخارستيا ليست فقط تذكارًا للماضى ودخول إلى السماويات ، بل هى تعلن عودة المسيح ثانيةً وتجعلنا نشترك فيها منذ الآن.

٨ ــ المسيح هو المكان الإلهى الذى حلّ فيه ملء النعمة ، ملء الحكمة ، ملء القوة ، ملء السلطان والقداسة، أى ملء الروح حينما تقول الأناجيل

والآباء إن الروح يستقر فى المسيح ، فهذا يشير إلى حضور الروح القدس شخصيًا وإلى حلول ملء اللاهوت فى نفس الوقت .

٩ ــ ينبغى أن نلاحظ أن لقب " المسيح " يعنى الممسوح من الله ، والمسحة التى بها وصار " المسيح " هى الروح القدس كما قال بطرس "يسوع مسحه الله بالروح القدس والقوة .. الذى جال يصنع خيرًا .." (أع ١ :٣٨). والذى يُمسح بالروح هو ابن الله كما جاء فى شهادة المعمدان فى إنجيل يوحنا (يو١ :٣٢ــ٣٤) وهذا المسيح تم فى الأردن بمجىء الروح عليه مثل حمامة.

ثانيًا : عطية الإيمان بابن الله :

١- لمن يُعلن ابن الله :

كما يظهر من كلام الرب لبطرس ، فإن الإيمان أن يسوع " هو المسيح ابن الله " إنما هو عطية يهبها الله للإنسان وليست من إعلان لحم ودم . وهذا الإعلان الذى يعطيه الله الآب للإنسان يرتبط ببساطة القلب أو بحالة نقاوة الطفولة كما يذكر إنجيل لوقا أن الرب يسوع فرح فرحًا شديدًا بالروح حينما رجع السبعون تلميذًا مخبرين بأن الشياطين تخضع لهم باسمه، عندئذ قال الرب مخاطبًا الآب : " أحمدك أيها الآب .. لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء **وأعلنتها للأطفال** .. " (لو١٠ :١٧ــ٢١). وهنا يظهر أن معرفة أسرار المسيح وحقيقة سلطانه الإلهى على قوات الشر، أى حقيقة أنه المسيا ابن الله هذه يخفيها الآب عن الحكماء والفهماء، أى عن أصحاب الحكمة البشرية والذين يعتمدون على علمهم وفهمهم، ولكنه يعلن سر ابنه وحقيقته للقلوب البسيطة كقلوب الأطفال ، كما قال الرب أيضًا للتلاميذ فى موضع آخر : " الحق أقول لكم ، إن لم ترجعوا

وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت١٨:٣). وأيضًا: " من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله " (مر١٠:١٥، لو١٨:١٧).

٢ـ كيف يُعلن ابن الله :

هذا الإعلان الذى الآب للإنسان إنما يحدث بواسطة الروح القدس، كما يقول الرسول بولس: " ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس " (١كو١٢:٣). فالروح القدس هو الذى يعطيه الآب لقلب الإنسان ليكشف له أن يسوع هو الرب ، أى أنه ابن الله . وعمل الروح هذا فى إعلان حقيقة المسيح يذكره الرب نفسه عندما وعد أن يرسل المعزى الروح القدس قائلاً : " متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى " (يو١٥:٢٦). وعن هذه الشهادة التي يعطيها الآب بالروح يقول يوحنا الرسول : " والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق " (١يو٥:٦). والرب نفسه يقول عن هذا العمل الإلهى في قلب الإنسان الذى يعمله الآب " لا يقدر أحد أن يُقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى .. ويكون الجميع متعلمين من الله، فكل من سمع من الآب وتعلّم يُقبل إلىّ " (يو٦:٤٤،٤٥). فالآب هو الذى يجتذب الإنسان ليؤمن بشخص يسوع ابن الله ، وهذا الجذب الذى يعمله الآب إنما يتم بالروح القدس، والذى يتعلم من الله إنما يسمع من الآب شهادة عن ابنه بعمل الروح القدس فى قلب الإنسان الذى يسمع ويتعلم ويؤمن .

٣ـ معرفة ابن الله والثالوث :

الاعتراف أن يسوع هو ابن الله هذا يتضمن فى ذاته الاعتراف بوجود أب المسيح أى الله الآب ، الذى هو أب المسيح ابنه الوحيد. كما أن العمل

الذى يعمله الله فى قلب الإنسان ليقوده إلى معرفة المسيح ابنه إنما يُدخلنا فى نوع من العلاقة مع الثالوث. فيقول القديس إيريناؤس [١]، أسقف ليون فى القرن الثانى ما معناه إن الآب يعمل فينا بروحه القدوس لكى يجتذبنا إلى الابن يسوع المسيح ، وعندما نقبل المسيح ونعرفه ، فإن المسيح يقودنا ويُدخلنا إلى الآب ، استنادًا على قول الرب نفسه " ليس أحد يأتى إلى الآب إلاّ بىّ " (يو ١٤: ٦) وأيضًا " ليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له " (مت١١: ٢٧). إذن فهناك دورة إلهية فى عمل الإعلان ، فالروح الذى يرسله الآب والابن ، يعرفنا المسيح الابن ويجذبنا إليه ، والابن يقودنا إلى معرفة الآب . إذن ، كما نلاحظ فهناك حركة من فوق من الله إلى الإنسان بواسطة الروح والمسيح، ثم حركة عكسية من الإنسان إلى فوق أيضًا بواسطة الروح والمسيح إلى الآب .

ثالثا : الإيمان بابن الله : ماذا يهبنا ؟

يتضح من الأناجيل والرسائل والعهد الجديد كله ، أن هدف الكرازة المسيحية هو الإيمان بأن يسوع هو ابن الله . وهذا الإيمان يهبنا امتيازات كثيرة نذكر منها ما يلى :

١ ـ الإيمان بابن الله يعطى حياة أبدية :

فيقول القديس يوحنا قرب نهاية إنجيليه: " وأما هذه (أى الآيات التى صنعها يسوع) فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه " (يو٢٠: ٣١). " هكذا أحب الله العالم حتى بذل

[١] Adv. Haerses V, 36, 2.

ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ١٦:٣). وأيضًا: " الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية " (يو٣:٣٦). " وكل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير " ، وأيضًا يقول الرب " الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية " (يو ٤٠:٦، ٤٧).

كما يوضح إنجيل يوحنا أن من يقبل المسيح ويؤمن به ويتبعه لا يُدان "الذى يؤمن به لا يُدان " (يو٣:١٨). وأيضًا " من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل انتقل من الموت إلى الحياة " (يو٥:٢٤). وهكذا فالذين يسمعون صوت ابن الله ينالون الحياة ويقومون من الموت الروحى . " الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات (روحيًا) صوت ابن الله والسامعون يحيون " (يو ٢٥:٥).

" من يؤمن بابن الله فعنده شهادة الله فى نفسه (أى فى داخله) وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه ، من له الابن فله الحياة (الأبدية) ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة . كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية " (١يو٥:١٠ـــ١٣).

٢ـ الإيمان بابن الله يهبنا القوة لغلبة العالم :

الإيمان بالمسيح ابن الله يعطى القوة للمؤمنين لكى يغلبوا العالم ، أى يغلبوا روح الشر التى فى العالم .

" كل من يؤمن بأن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله "

" كل من وُلد من الله يغلب العالم . وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم ، إيماننا . من هو الذى يغلب العالم إلاّ الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله" (١

يو٥:١، ٤، ٥). وأيضًا يقول فى نفس الرسالة: "أكتب إليكم أيها الأحداث لأن كلمة الله ثابتة فيكم (أى الإيمان بابن الله ومحبته) وقد غلبتم الشرير" (١يو ٢:١٣، ١٤). هذه الغلبة التى يعطيها الإيمان بابن الله توضح لنا جانبًا من معنى كلام المسيح لبطرس عندما اعترف به أنه ابن الله إذ قال له " على هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها "، أى بسبب أن الكنيسة تكون مؤسسة على أساس الإيمان بابن الله ، فإنها تكون مُحصنة بقوة روح الله الذى يسكن فيها ، فلا تستطيع قوات الجحيم، أى قوات الشر التى تعمل فى العالم، لا تستطيع أن تغلبها، بل الكنيسة أى المؤمنون هم الذين يغلبون قوة الشر التى فى العالم بإيمانهم بابن الله.

٣ـ الإيمان بابن الله يفجر أنهار ماء حى (أى الروح القدس):

وهذا ما قاله الرب يسوع فى إنجيل يوحنا بمناسبة عيد المظال: " إن عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب، من آمن بى تجرى من بطنه أنهار ماء حى. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنين به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد " (يو٧:٣٧ـ ٣٩). فالإيمان بابن الله يعطى تدفق أنهار الماء الحى فى داخل الإنسان التى هى الروح القدس، وهذا ما شهد به بطرس يوم الخمسين عندما قال للذين نُخسوا فى قلوبهم عندما سمعوا كرازته بالمسيح " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس " (أع٢:٣٧، ٣٨)، أى أن من يتوب مؤمنًا بيسوع أنه ابن الله ويعتمد على هذا الأساس فإنه ينال غفران الخطايا باسم المسيح كما ينال عطية الروح القدس، كثمرة أيضًا للإيمان بابن الله.

٤ ـ الإيمان بابن الله يجعلنا أبناء وورثة لله :

" لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح " (غل٣: ٢٦ـ٢٧)، فباتحادنا بالمسيح الحى عن طريق المعمودية نلبس المسيح ابن الله فنصير أبناء الله بالمسيح.

" وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب .. ولأنك ابن فأنت وارث لله بالمسيح " (غل٤: ٦،٧).

بالإيمان بابن الله والمعمودية نصير أبناء باتحادنا بالمسيح الذى لبسناه، ويلزم أن نستمر " لابسين الرب يسوع المسيح " (رو١٣: ١٤) إلى أن نلتقى به عند مجيئه الثانى الذى فيه سيغيّر شكل جسد وضاعتنا ليكون على صورة جسد مجده .. " (فى٣: ٢٠، ٢١).

رابعًا : المسيح ابن الله فى العهد الجديد [٢]:

١ ـ يقدم لنا الإنجيل حسب يوحنا شخص يسوع المسيح ابن الله باسم "الكلمة " Logos . كلمة الله يظهر هنا كحكمة وحياة ونور ، ليس فقط ككائن حاضر وقت خلقة العالم ـ كما يرد عن الحكمة فى (أمثال ٨: ٢٠ ـإلخ) ـ بل هو الكائن الذى به خُلقت كل الأشياء . ويوحنا هنا يستعمل نفس تعبيرات المزامير : " بكلمة الرب صنعت السموات وبروح فمه كل جنودها " (مز٣٣: ٦).

وينبغى أن نؤكد على " **إعلان تجسد الكلمة** " ، كما ينبغى من الناحية الأخرى أن نؤكد على إعلان "اسم يسوع " هذا الإعلان الأخير الذى حدث بطريقة فوق الطبيعة ، فهذا الاسم لم تعطه له عائلة بشرية (لم تختره مريم)

[٢] من كتاب : The Mystery of the Trinity by Boris Bobrinskoy .

إنما أعلن لها كأنه اسم يسوع منذ الأزل ، وأُعلن هذا الاسم ليوسف ومريم اللذين أعطياه للطفل فى حركة أمومة تشكل ــ كما لو كانت ــ انعكاسًا لأبوة الله، هذا الإله الذى يلد ابنه أزليًا يعطيه الاسم " يسوع " ويحبه " أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك " (مز ٢:٧).

اسم يسوع وأيضًا لقب " لوغوس " " الكلمة " هى أسماء تتجاوز بل وأيضًا تسبق أى تفكير لاهوتى . فالأمر هنا هو مسألة تلاقى " كلمة الله " مع البشرية ، تلاقيه مع العالم ــ هو تلاقى شخصى بأعمق معنى . فاللوغوس عند يوحنا له معنى تأليفى تجميعى ، فهو ليس مجرد اسم بين أسماء أخرى ، بل هو اسم يسبق كل الأسماء ويحوى فى ذاته فى نفس الوقت سر البنوة وسر العبد المتألم . إنه اسم ذاك الذى يعلن نفسه على أنه النور والحياة وهى تعبيرات يوحنائية مجموعة معًا ــ كأنها باقة ورد ــ فى مقدمة الإنجيل .

" والكلمة " ليس هو لوغوس فقط ، بل هو أيضًا " ابن الآب الوحيد المملوء نعمة وحقًا " (يو ١:١٤).

فقد صار الكلمة جسدًا ورأيناه إنسانًا ، ومن هنا يكون ابن الله الوحيد هو الكلمة الصائر إنسانًا ، هو "ابن الإنسان " بسبب الإنسانية التى ولد بها من العذراء مريم بدون أب بشرى . فيسوع هو ابن البشرية عامة وليس ابن رجل معين لأنه وُلد من العذراء بالروح القدس، كما نقول فى قانون الإيمان : " وتجسد وتأنس من الروح القدس ومن مريم العذراء " .

وبذلك فإن " يسوع ابن الله الحى " هو " ابن الإنسان " ، كما قال يسوع فى سؤاله للتلاميذ عن شخصيته من يكون هو ؟ " من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان " (مت١٦:١٣).

كما أن مفهوم " الكلمة " يسمح لنا أن نربط تعليم يوحنا عن المسيح بتعليم بولس عنه ، وذلك لأن وظيفة الكلمة نفسها هى أن تكون " الصورة"؛ فالكلمة هى العلاقة (الرمز) التى تتضمن الفكر وتعبّر عنه ، كما تعبّر عن الإدارة وعن السر الكامن فى صمت الآب ، الصمت الذى لا يُدنى منه . والآن (بمجىء الابن) فإن صمت الآب هذا (الذى لا يُدنى منه) ينفتح ويتكلم . إن سر الكلمة لا يجب أن نُقلّصه ليكون مجرد فهم مع الكلمة التى تعبر عن الفهم ، بل يجب أن نكتشف المعنى الكتابى الأصيل للفظة العبرية " دابار " . " دابار يهوة " = كلمة يهوة = كلمة الرب ، وهى Dabar ليست فقط إعلانًا للفكر الإلهى بل هى أيضًا إعلان عن مشيئة تصير حضورًا فعالاً ومحسوسًا ومصحوبة بكلمة نشيطة تفعل ما تقوله وتتمم مشيئة ذاك الذى يرسلها ثم تعود بعد ذلك إلى الله الذى أرسلها هذا ما يقوله إشعياء " هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما أرسلتها له " (إش٥٥: ١٠ــ١١).

٢ ـ المسيح وحده يملك معرفة الآب وهو الذى يعلنه لمن يريد :

" ليس أحد يعرف من هو الابن إلاّ الآب **ولا أحد يعرف من هو الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له** " (لو١٠: ٢١ــ٢٣).

وكذلك شهادة يوحنا الحبيب " الله لم يره أحد قط .. الابن الوحيد هو **خبّر** " (يو١: ١٨).

" أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك .. وعرفتهم أسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم " (يو١٧: ٢٥ــ٢٦).

٣ ـ وحدة الابن مع الآب :

❀ " ما يفعله الآب يفعله الابن كذلك " (يو٥: ١٩ــ٢٠) .

❀ " أنا والآب واحد " (يو١٠: ٣٠) ، " الآب فىّ وأنا فيه " (يو١٠: ٣٩) .

❀ " أنا فى الآب والآب فىّ " + " من رآنى فقد رأى الآب " + " صدقونى أنى فى الآب والآب فىّ " (يو١٤: ٧ــ١٠).

٤ـ المسيح صورة الله غير المنظور :

" فيه خلق الكل .. الكل به وله قد خُلق " (كو١: ١٦)

" وهو بهاء مجده وصورة جوهره (أقنومه) .. به عمل الآب العالمين وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته " (عب١: ١ــ٣).

❀ الابن هو الله " كرسيك يا الله إلى دهر الدهور (عب١: ٨).

❀ يسوع هو ابن الله وهو رئيس الكهنة العظيم ــ الذى اجتاز السموات (عب٤: ١٤) . وهو " الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق" (عب٥: ٦، عب٦: ٢٠) + " يقدر أن يخلص إلى التمام " (عب٧: ٢٥).

خامسًا : الإيمان بابن الله فى مجمع نيقيا والقديس أثناسيوس (هوموأوسيوس) :

فى مواجهة بدعة آريوس الذى نادى بأن ابن الله الكلمة مخلوق ، علّم القديس أثناسيوس أن الابن مولود من جوهر الآب ، وأكد مجمع نيقيا أن عبارة ابن الله تعنى أنه مولود من طبيعة الآب الإلهية، وأنه غير مخلوق . ووُضع فى قانون الإيمان عن المسيح عبارة " المولود من الآب قبل كل الدهور... إله من إله مولود غير مخلوق . مساوٍ للآب فى الجوهر (أو من ذات جوهر الآب) (هوموأوسيوس) Homoousios وهذه الكلمة تعبر عن الوحدة الحقيقية بين الابن والآب، كما توضح التمايز بينهما أيضًا.

وتمسك القديس أثناسيوس أن " ابن الله " تعنى أنه من " جوهر الآب نفسه" فبدون ذلك لا يكون خلاصنا حقيقيًا، فالخلاص عنده يعنى أن تتحد البشرية المخلوقة الميتة بالله الحي بواسطة المسيح، فلو لم يكن المسيح من جهة لاهوته مساويًا للآب فى الجوهر (أى من نفس جوهره) لما تحقق اتحادنا بالله ولما نلنا الحياة الإلهية : " لقد صار (الكلمة) إنسانًا لكى يؤلهنا فى نفسه ووُلد من امرأة لنصير نحن منذ ذلك الحين (منذ تجسده) جنسًا مقدسًا وشركاء الطبيعة الإلهية " (الرسالة إلى أدلفيوس فقرة٤).

سادسًا : الإيمان بابن الله فى مجمع أفسس والقديس كيرلس الأسكندرى :

الإيمان بالمسيح ابن الله يعنى الإيمان بأنه إله حقيقى من طبيعة الآب ، وقد تجسد من العذراء بالروح القدس . فالحديث هنا هو عن كيفية التجسد أو التأنس باتحاد اللاهوت بالناسوت .

ابن الله هو شخص واحد ، أقنوم واحد طبيعة واحدة مُكوّن من اللاهوت والناسوت. وليس شخصان (شخص الكلمة وشخص الإنسان يسوع).

وهذا ما عبر عنه مجمع أفسس والقديس كيرلس بعبارة " العذراء والدة الإله " لأن الذى وُلد منها هو الإله الكلمة المتجسد .

يقول القديس كيرلس [نؤكد اتحاد الكلمة الذى من الله الآب، بجسده المقدس ذى النفس العاقلة . وهو اتحاد يفوق الإدراك ويعلو على الفكر ، وقد حدث بدون اختلاط وبدون تغيير وبدون تحوّل ، فنحن نعترف بمسيح واحد الابن والرب.. **ونحن نرى فى تأنسه أن طبيعتين قد اجتمعتا إحداهما مع الأخرى فى اتحاد لا يقبل الانفصام**. وبدون تغيير وبدون اختلاط ، لأن جسده هو جسد وليس لاهوتًا ، رغم أن جسده قد صار جسد الله، وبالمثل

فالكلمة أيضًا هو الله وليس جسدًا ، رغم أنه جعل الجسد خاصًا به بحسب التدبير ... وبعد الاتحاد لا نفصل الطبيعتين إحداهما عن الأخرى، ولا نجزئ الابن الواحد غير المنقسم إلى ابنين بل نقول بابن واحد ، وكما قال الآباء : طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله] (رسالة ٤٥ فى الجزء الثالث من رسائل القديس كيرلس ــ مركز دراسات الآباء ١٩٩٥).

الإيمان بابن الله : ليتورجيا

د. جوزيف موريس فلتس

مقدمة :

في بحثنا لموضوع " **الإيمان بابن الله ليتورجيا** " سنتناول بالحديث كيف أن الكنيسة تعيش الإيمان بكلمة الله، الابن المتجسد، يسوع المسيح، الرب والمخلص ، في شركة واختبار حي لمفاعيل سر التدبير الإلهي الذي تممه بتجسده وصلبه وآلامه وموته وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب ، ثم إرساله الروح القدس المعزي ، وتأسيسه الكنيسة جسده.

ولقد عبّرت الكنيسة عن إيمانها هذا في مناسبات عديدة وبطرق مختلفة، فلقد كانت المعمودية والمحاكمات التي كانت تجري للمسيحيين في القرون الأولى للمسيحية ، من المناسبات المهمة للتعبير عن هذا الإيمان كما يشهد آباء تلك الفترة ، ثم جاءت نصوص الليتورجيات كسر الإفخارستيا مثلاً ، وصلوات التسبحة ، وأسبوع الآلام لتعبر عن إيمان الآباء وما تعتقده الكنيسة في شخص يسوع المسيح ابن الله الحي كما سنرى .

أولاً : عند استخدام الكتاب المقدس ليتورجيا :

لقد حوت أسفار العهد الجديد على **اعتراف إيمان** μολογία πίστεως الآباء الرسل الواضح والصريح بالثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس في تعبيرات بسيطة بدون اهتمام بالصياغات اللاهوتية . وقد ركّز **اعتراف الإيمان** في كتابات العهد الجديد على ضرورة الاعتراف بأن يسوع المسيح هو الرب " **وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح**

القدس " (١كو١٢: ٣) ، وأيضًا " **لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خَلُصتَ** " (رو١٠: ٩) .

ويسجل لنا متى الإنجيلي كلمات الرب نفسه لتلاميذه عندما دعاهم للخدمة وكلفهم بحمل البشارة المفرحة وأوصاهم قائلاً "فكل من **يعترف بي** قدام الناس اعترف أنا أيضًا به قدام أبى الذي في السموات، ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبى الذي في السموات" (مت١٠: ٣٢ ــ٣٣). بل وما خيانة بطرس الرسول فى جوهرها إلاّ **إنكاره الإيمان بابن الله أى إنكاره بمعرفة السيد المسيح.**

ويمكن أن تلاحظ أيضًا " **اعتراف الإيمان** " هذا في اجتماع الجماعة العابدة والساجدة (فى ليتورجيا) يصفها بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبى إذ يقول " لكي تجثوا **باسم يسوع** كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض **ويعترف** كل لسان أن **يسوع هو رب لمجد الله الآب** " (فى٢: ١١) . وما أجابه الخصي على فيلبس إلاّ اعتراف إيمان تم ــ كما سنرى ــ فى عمل موقف اتخذته الكنيسة لتدعيم عمل ليتورجى : "فأجاب وقال أنا **أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله** " (أع٨: ٣٧) .

* عقيدة أخرى شملها " **اعتراف الإيمان بابن الله** " كما جاءت في أسفار الكتاب المقدس وهى أن الاعتراف **بيسوع الرب** هو الاعتراف به **مسيحًا** أي الممسوح بالروح القدس ذلك لأن يسوع هو المسيح وهو موضوع كل نبوات العهد القديم التي تمت وأكملت في يسوع الناصري ، يسوع الذى جاء فى الجسد ولهذا كتب معلمنا يوحنا الإنجيلي موضحًا في رسالته الأولى قائلاً " من هو الكذاب إلاّ الذي ينكر (عكس يعترف) أن يسوع هو المسيح " (١يو٢: ٢٢)، وفى موضع آخر من نفس الرسالة

يوضح خطورة **عدم الاعتراف** بذلك الذي جاء في الجسد فيحذر " كل روح **يعترف** بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله وكل روح **لا يعترف** بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح " (١يو٤:٣) .

وعلى وجه العموم فالعهد الجديد يركز على ضرورة اعترافنا دائمًا بالله الواحد الآب والرب يسوع المسيح (بميلاده ــ موته ــ قيامته وصعوده ــ مجيئه الثاني) وبالروح القدس[١] .

والشركة التى اختبرها الرسل وعاشوها وأرادوا أن يشركوا آخرين فيها هى **شهادة** μαρτηρία بالذى رأوه وسمعوه ولمسته أيديهم أى " **اعتراف إيمان** " قادهم إلى الشركة مع الآب والابن والروح القدس، هذه الشركة نفسها نقلوها حية وسلموها بلا تغيير لمن بعدهم وليشترك فيها أيضًا كل من له " **اعتراف الإيمان** " أو قانون الإيمان هذا ..

لأجل هذا كله نجد أن الكنيسة فى استخدامها الليتورجى للكتاب المقدس وخصوصًا عند ممارستها لسر الإفخارستيا وقبل قراءة إنجيل القداس ، تعلن عن نفس الإيمان الذى أعطاه الرب وكرز به الرسل وسجله الإنجيل ، وذلك لتشهد وتكرر ــ فى كل مرة يُقام فيها السر ــ شهادتها بأنها تمارس نفس السر الذى أسسه الرب يسوع نفسه من أجلنا ومن أجل خلاص نفوسنا، وبإعلان إيمانها بابن الله الحى تنال ــ من خلال هذا السر ــ مغفرة للخطايا، وشركة الحياة الأبدية، فنسمع الكاهن فى دورة الإنجيل وهو يردد هذا الاعتراف " اسجدوا لإنجيل **يسوع المسيح ابن الله الحى** ، له

[١] رو٤:٢٤، ٨:١١، ١كو٨:٦، ٢كو٤:١٤، غل١:١، اتس١:١٠، كو٥:١٢، أف١:٢٠ ، ابط١:٢١ ، ٢بط١:٢ ، ٢يو٣،١:٢ .

المجد إلى الأبد ، مبارك الآتى باسم الرب، ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا ربنا يسوع المسيح ابن الله الحى له المجد إلى الأبد " .

ثانيًا : ولقد كانت المعمودية هى أهم المناسبات الليتورجية ــ كما سبق القول ــ للاعتراف بالإيمان أى الاعتراف بالمسيح يسوع ربا، حيث إن المعمودية كانت تجرى باسم الرب يسوع كما يشهد سفر الأعمال (أع ١١:٥،٨:١٦) ولهذا كانت الكنيسة تعد الموعوظين ــ أى الآتين إليها ــ لقبول المعمودية والاشتراك فى الليتورجية. وكان هذا الإعداد يتطلب دقة واهتمام لكى لا يدخل الكنيسة إلاّ من يؤمن بابن الله . ويخبرنا القديس كيرلس الأورشليمي أن الإيمان كان الموضوع الرئيسي في تعليم الموعوظين حيث كان يشرح لهم أثناء فترة الصوم الأربعيني معتقدات الكنيسة الرئيسية . وهذا الأمر يؤكده جيروم في رسالته الرابعة .

غير أن تفاصيل ما كان ينبغي على الموعوظين أن يتسلموه قبل المعمودية فيمكن أن نعرفها من خلال نصوص كتاب المراسم الرسولية والنص العربي للديسقولية [على الموعوظين أن يتسلموا قبل المعمودية معرفة الله الآب والابن الوحيد والروح القدس ونظام خلق العالم والكشف الإلهى ولماذا خلق الإنسان والعالم، ويتعلم عن ناموس الطبيعة لكي يعرف الهدف الذي خلق لأجله **ويتعلم تجسد المسيح وآلامه وقيامته وصعوده وما معنى جحد الشيطان والدخول فى عهد مع المسيح]** الكتاب السابع ٣٩.

وتمدنا كتابات الآباء الرسوليين بنصوص هامة عن مضمون الإيمان بابن الله أو اعتراف الإيمان فى ذلك العصر حيث يكتب **القديس كليمندس**

الروماني: " أليس لنا إله واحد والمسيح الواحد والروح الواحد الذي أعطانا النعمة وسكب على الكل " [٢].

وقد أشار الشهيد أغناطيوس الأنطاكي إلى الإيمان بابن الله بقوله:

"ليس سوى إله واحد ظهر بابنه يسوع المسيح كلمته" [٣].

وفي نص رائع يعبّر القديس والشهيد أغناطيوس عن إيمانه هذا فيقول [لأن إلهنا يسوع المسيح قد حملته أحشاء مريم كحسب التدبير الإلهي فوُلد من ذرية داود ومن الروح القدس. وُلد واعتمد ليطهّر الماء بآلامه]، ويحذر المؤمنين قائلاً [احموا آذانكم عن أي شئ آخر سوى المسيح يسوع سليل داود المولود من مريم العذراء الذي وُلد حقًا وأكل وشرب حقًا وصُلب حقًا على عهد بيلاطس البنطي ومات حقًا أمام السمائيين والأرضيين والذين تحت الأرض وقام حقًا من الأموات. فالآب هو الذي أقامه وسيقيمنا معه وعلى مثاله نحن الذين آمنا به، وبدونه لا حياة حقيقية لنا] [٤].

وكتب الشهيد بوليكاربوس رسالة إلى أهل فيلبى يعرّفنا في بدايتها بالتعاليم التي تسلمها منذ البدء والتي تمثل بالنسبة له "إيمان" يجب التمسك وعدم التفريط فيه فيقول :

[من لا يعترف بأن يسوع المسيح قد جاء في الجسد فهو ضد المسيح ومن لا يسلّم بشهادة الصليب فهو من الشيطان وكل من يسئ تأويل أقوال الرب، حسب رغباته الخاصة وينكر القيامة والدينونة فهو بكر الشيطان ،

[٢] رسالة كليمندس الروماني فقرة ٧.

[٣] مغنيسيا٨ .

[٤] القديس أغناطيوس ترالياً٧.

لذلك فلندع الأحاديث الضالة والباطلة والأقوال الفاسدة ولنتمسك بالتعاليم التي سُلمت إلينا منذ البدء] [٥].

ومن المناسبات الأخرى للاعتراف هي المحاكمات التي كانت تجرى للمسيحيين حيث كان يُرغم المسيحي على أن يقول " يسوع أناثيما " أي مرفوض أو ملعون ، وفي محاكمة الشهيد بوليكاربوس طُلب منه الوالي أن يلعن المسيح فأجاب بوليكاربوس كيف ألعن ملكي[٦].. وفي خطاب بليني Pliny حاكم بيثينيا على البحر الأسود إلى الإمبراطور تراجان حوالي سنة ١١٢ م يقول [أحاول أن أجعلهم يلعنون المسيح] [٧].

وأيضًا قدّم الشهيد يوستينوس دفاعًا رائعًا عن الإيمان المسيحي والمسيحيين أمام الإمبراطور بيوس وأدار حوارًا مع اليهودي تريفو أوضح فيه الإيمان المسيحي فيقول **[نحن نعبد الإله الحقيقي وابنه الذي جاء منه والروح الذي أعطى النبوة ... الآب الذي خلق كل الأشياء بابنه يسوع المسيح وبالروح القدس..... نحن لسنا ملحدين لأننا نعبد خالق هذا العالم ولدينا أسبابًا حسنة تجعلنا نوقر (الآب) الذي علمنا هذه الأشياء والمولود منه يسوع المسيح الذي صُلب على عهد بيلاطس البنطي والى اليهودية في عهد طيباريوس قيصر ... والروح القدس الذي أعطى النبوة ... نحن نعلم بأن الكلمة هو بكر الآب مولود منه بدون زرع بشر، يسوع المسيح معلمنا الذي صُلب ومات وقام وصعد إلى السموات "** [٨] .

---

[٥] الرسالة إلى فيلبي ٢:٧.

[٦] استشهاد بوليكاربوس ٣:٩.

[٧] خطاب بليني إلى الإمبراطور تراجان ٩٣:١٠.

[٨] (الشهيد يوستينوس :دفاع ٦:١،٦٧،٣١،٢١) .

القديس إيريناؤس وقاعدة الإيمان : (كتب ما بين ١٥٠ـــ٢١٠م):

في هذه الفترة كثرت الهرطقات وانتشرت ومع هذا فهو يكتب [إن الكنيسة مبعثرة في كل أرجاء المسكونة لكن لها إيمان واحد سُلِّم من الرسل ثم إلى تلاميذ الرسل وعلى الرغم من أن لغات البشر تختلف إلاّ أن جوهر التقليد واحد في كل مكان] [٩] .

ولقد أوجد القديس إيريناؤس تعبيرًا رائعًا ودقيقًا استخدمه في مناسبات عديدة ليصف به محتويات العقيدة وتعاليم الكنيسة ذلك هو تعبير "قاعدة الإيمان" [١٠] هذا الإيمان هو الذى أسست عليه الكنيسة ليتورجياتها وعبّرت عنه فى نصوص هذه الليتورجية . ولهذا يكتب في مقالة شرح الإيمان الرسولي ضمن كتاب عن " الكرازة الرسولية " فيقول [هذا هو ترتيب قاعدة إيماننا وهى أساس الإيمان الثابت الذي شُيد عليه تجديدنا : الله الآب ليس مخلوقًا ولا محسوسًا (ماديًا) غير منظور إله واحد ، خالق كل الأشياء هذا أول موضوع في إيماننا والموضوع الثاني هو كلمة الله ـــ ابن الله ـــ المسيح يسوع ربنا. الذي أُعلن للأنبياء بطريقة نبوية وحسب تدبير الآب الذي به (الكلمة) خُلقت كل الأشياء، الذي في آخر الأزمنة ـــ لكي يكمّل ويجمع كل شئ ـــ تجسد وصار إنسانًا وعاش مع الناس بل صار ظاهرًا ومحسوسًا لكي يبيد الموت ويُظهر الحياة ويخلق شركة بين الله والبشر، والموضوع الثالث هو الروح القدس الذي به تنبأ البطاركة (إبراهيم واسحق ويعقوب) وعلموا ما يخص الله ، وقاد الأبرار إلى طريق البر الذي في آخر

[٩] إيريناوس : ضد الهرطقات ١:١٠، ٢:١ مجلد ٥٤٩:٧ .

[١٠] قاعدة "الإيمان من مرادفات كلمة قانون .

الأزمنة سكب على البشر فى كل أرجاء الأرض بطريقة جديدة لكي يجدد الإنسان ويعيده لله] [١١].

ولأن الفترة التى عاش وكتب فيها القديس إيريناؤس كانت فترة مليئة بالهرطقات والأفكار الغريبة عن الإيمان السليم، فلقد كان القديس إيريناؤس واضحًا كل الوضوح في كتاباته "ضد الهرطقات" واجتهد أن يُظهر لهم إيمان الكنيسة فى صياغة محددة ومعروفة فكتب قائلاً: **[لأن الكنيسة المبعثرة في كل أرجاء المسكونة وحتى إقصاء الأرض قد استلمت من الرسل والتلاميذ ما وصل إلينا: إيمانهم في الله الواحد الآب ضابط الكل الذي خلق السماء والأرض والبحار وكل ما فيها. وبالمسيح الواحد يسوع ابن الله الذي تجسد لأجل خلاصنا وبالروح القدس الذي أعلن من خلال الأنبياء التدبير الخلاصي الذي تضمن مجيء (الابن) والميلاد من العذراء والآلام والقيامة من بين الأموات وبصعوده إلى السموات ومجيئه الثاني من السموات بمجد الآب لكي يجمع كل الأشياء ويقيم من جديد أجساد البشرية كلها.. لكي يدين بالعدل كل البشر لأنه سيرسل إلى النار الأبدية كل قوات الشر الروحية والملائكية الذين أخطأوا أو عصوا وكل الأشرار من الناس أما الأبرار فإنه سيعطيهم الحياة والخلود ضامنا لهم المجد الأبدي]** [١٢].

وإن كانت الأسفار المقدسة قد احتوت اعترافًا بالإيمان إلاّ أن وجود صيغة محددة للإيمان ومعروفة كانت ضرورية لمن ليس لديهم هذه الأسفار بلغتهم من الشعوب غير اليونانية واللاتينية . فيقول ق. إيريناؤس [هؤلاء ليس لديهم الأسفار المقدسة بلغتهم لكنهم يعرفون محتويات الرسالة

[١١] إيريناؤس : الكرازة الرسولية الفصل السادس.

[١٢] إيريناؤس: ضد الهرطقات ١٠:١ مجلد ٧: ٥٤٩ .

والإيمان المسيحي لأنه مكتوب على قلوبهم وهم يعلنون مع الذين لديهم الأسفار الإيمان بإله واحد خلق السماء والأرض وكل ما فيهما في المسيح يسوع ابن الله الذي جاء من أجل عظم محبته للخليقة وولد من العذراء لكي يتمجد فيه الإنسان بالله ، ومات على عهد بيلاطس البنطي وقام وصعد بمجد عظيم وسيأتي في اليوم الأخير.. والروح القدس] [١٣] .

القديس هيبوليتوس : (استشهد عام ٢٣٥م) :

من أهم ما كتب ق. هيبوليتوس أو أبوليدس كما نسميه بالعربية ، هو كتاب " التقليد الرسولي " وهذا الكتاب هو أقدم ما وصل إلينا عن قواعد العبادة والخدمة الليتورجية بالكنيسة ويتضمن أيضًا طقس رسامات درجات الكهنوت الثلاثة ثم القداس والمعمودية وفى كتاب آخر له كتب ضد هرطقة نوئيتس يذكر ق. هيبوليتوس الصيغة التي أقرها الأساقفة بسميرنا في أسيا الصغرى عن الاعتراف بالإيمان فيقول [نمجد الإله الواحد ولكن كما نعرفه ونقبل المسيح ابنًا لله الذي تألم كما هو معروف لنا ومات بالطريقة المعروفة (الصليب) وقام في اليوم الثالث وهو عن يمين الآب وسيأتي ليدين الأحياء والأموات] [١٤].

رسالة الرسل :

في نص يرجع تاريخه إلى القرن الثاني تقريبًا ويسمى Epistula Apostolourm رسالة الرسل ، نرى صورة مبسطة لاعتراف الإيمان وتتركز على بنود خمسة للايمان .

---

[١٣] ضد الهرطقات ٣:٤، ٢، مجلد ٧:٨٥٥ .

[١٤] هيبوليتوس: ضد نوئيتس٢٣٥، ١ــ٢٣٧ .

وجاء في هذا النص شرح لمعجزة الخمس خبزات التي أشبعت الجموع حيث أن البنود الخمس للإيمان هي هذه الخبزات :

١ ـــ الإيمان بالآب خالق الكون .

٢ ـــ بيسوع المسيح فادينا .

٣ ـــ بالروح القدس المعزى .

٤ ـــ بالكنيسة الجامعة .

٥ ـــ بمغفرة الخطايا[١٥] .

السمكة تعبير مختصر عن الإيمان : ΙΧΘΥΣ

وردت عبارة " يسوع المسيح ابن الله المخلص " كتعبير مختصر عن الإيمان المسيحى وكان رمز السمكة هو المُعبّر عن هذا الإيمان حيث أن حروف كلمة أختيس ΙΧΘΥΣ هى الحروف الأولى من هذه الكلمات الخمس .

ولقد شهد العلامة ترتليان ونقوش Abercuis بذلك كما وردت هذه العبارة في مؤلفات الكتاب المسيحيين كقانون إيمان يعبر عن المعتقد المسيحي .

القرن الثالث الميلادي :

تمدنا مصادر القرن الثالث الميلادي بطريقة ممارسة **الاعتراف بالإيمان**. فكما كانت فرصة القدوم للمعمودية هي المناسبة الأولى التي تلزم ضرورة الاعتراف بالإيمان . فقد كانت طقوس ليتورجية المعمودية ذاتها هي المناسبة الثانية لما يتم فيها من " استجواب " فى الماء للوقوف على

[١٥] أنظر كواستن جـــ١ ص ٢٥ .

مدى استعداد المُعَمد لقبول هذا الإيمان والاعتراف به فيقول العلامة ترتليان " **عندما نغطس ثلاث مرات نجيب إجابة أطول من تلك التي قررها الرب في الإنجيل** "[١٦] أي اعتراف بالإيمان أكثر تفصيلاً من صيغة التعميد كما جاءت في مت ١٩:٢٨. وهذا الاستجواب كان في صورة أسئلة محددة يسألها الكاهن وهو يضع يده على رأس المعمد في الماء والذى يجيب فى كل مرة أؤمن .

١ ــ **هل تؤمن بالله الآب ضابط الكل ؟** فيرد المُعمد قائلاً : أؤمن به . عندئذ فليعمده للمرة الأولى ويده على رأسه ثم يقول .

٢ ــ **هل تؤمن بالمسيح يسوع ابن الله الذي وُلد بفعل الروح القدس ومن العذراء مريم ومات وقُبر وقام حيًا من بين الأموات فى اليوم الثالث وجلس عن يمين الآب وسيأتي ليدين الأحياء والأموات ؟** فيقول المُعمد : أؤمن . عندئذ يعمده للمرة الثانية ويعود فيسأله .

٣ ــ **هل تؤمن بالروح القدس وبالكنيسة المقدسة وبقيامة الجسد ؟** فيقول المُعمد : أؤمن . وعليه يعمده المرة الثالثة ، وعندما يخرج من الماء يدهنه الكاهن بالزيت المقدس باسم يسوع المسيح "[١٧] .

غير أنه بانتهاء طقس المعمودية لا تنتهي الفرصة للاعتراف بالإيمان وذلك لأن كل صلاة واجتماع مسيحي يعنى الاعتراف بالإيمان لاسيما فى الاجتماع الإفخارستى .

---

[١٦] ترتليان : الإكليل ٣ .

[١٧] أنظر الدسقولية : ص ٤٩٠

القرن الرابع :

تأتى شهادة القديس أمبروسيوس أسقف ميلانو من آباء القرن الرابع (٣٤٠ــ٣٩٧م) لتوضح أيضًا علاقة الإيمان بالمعمودية وأن تغطيس المُعمد فى الماء ثلاث مرات على اسم الثالوث هى فرصة لتقديم شهادة إيمانه بالأقانيم الثلاثة أو كما يسميه أمبروسيوس **الاعتراف الثلاثى** ، وبعمل المسيح الخلاصى بموته على الصليب وقيامته من أجلنا فيقول :

[لقد سُئلت: أتؤمن بالله الآب ضابط الكل؟ فأجبت: أؤمن. إذاك غُطست فى الماء. أى دُفنت. ثم سُئلت ثانية: أتؤمن بربنا يسوع المسيح والصليب؟ فأجَبتَ: أؤمن. وغُطست فى الماء. وبذلك دُفنت مع المسيح، وسئلت مرة ثالثة: أتؤمن أيضًا بالروح القدس؟ فأجبت: أؤمن. وغُطست مرة ثالثة، حتى أن **الاعتراف الثلاثى** يزيل سقطات الماضى المتكررة] [١٨].

وهذا الاعتراف الثلاثى ليس فقط اعتراف بتمايز الأقانيم بل وأيضًا هو شهادة إيمان للأقانيم بالتساوى إذ يضيف القديس أمبروسيوس فى موضع آخر قائلاً : [لقد غُطستم إذن (فى الماء) فتذكروا ما أجبتم به على الأسئلة، (إذ اعترفتم) أنكم تؤمنون بالآب، وأنكم تؤمنون بالابن، وأنكم تؤمنون بالروح القدس. لم يكن الإقرار أنكم بأقنوم أعظم وأقنوم عظيم وأقنوم أقل عظمة، ولكنكم ارتبطتم بنفس التأكيد، بإعلان صوتكم أنكم تؤمنون بالابن بنفس إيمانكم بالآب، وأنكم تؤمنون بالروح القدس بنفس إيمانكم بالابن، باستثناء واحد، هو أنكم تعترفون أنكم ينبغى أن تؤمنوا بصليب الرب يسوع وحده] [١٩].

---

[١٨] عن الأسرار ٣:٧ : ٢٠ مجموعة .S.Ch No. 25, p. 68.

[١٩] عن الأسرار فصل ٥.

ونظرًا لانتشار الهرطقات والتي كان هدفها تحريف الحق لذلك كان هناك ضرورة لعدم الاكتفاء بما تم في المعمودية من استجواب وضرورة الاعتراف بالإيمان بعد أن يتحدد لا في الصيغة الرسولية فقط والمعروفة لنا في العهد الجديد بل بإضافة كلمات وتعبيرات معينة ترد على الهرطقات المنتشرة . ومن هنا جاءت الحاجة إلى نصوص ليتورجية تعكس الإيمان المستقيم فى تعبيرات ومصطلحات ، عُرفت هذه النصوص باسم قوانين الإيمان والتى من بينها قانون دير البلايزة .

نصوص صلوات المعمودية [٢٠] :

تعكس هذه النصوص إيمان الكنيسة بابن الله، يسوع المسيح، الذى هو:

أ ــ رب وإله ومخلص : " ربنا وإلهنا ومخلصنا.. " (ص١١،١٣).

ب ــ الابن الوحيد الجنس : " ابنك الوحيد الجنس .. " (ص ١٧) .

ج ــ الممسوح بدهن الفرح ... عب١:٨ــ١٢ (ص١٨).

د ــ الذى لم يحسب الرب عليه خطيئة ولا يوجد فى فمه غش : نبوة داود مز٣١ (ص١٩).

هــ ــ رب الطبيعة ــ الطبيب الحقيقى : (ص ٢٩).

كما تكرر إيمانها واعترافها هذا فى نص صلاة الكاهن على الزيت : (ص٣٠).

[٢٠] نصوص صلوات المعمودية عن صلوات الخدمات .

قانون الإيمان :

هو قانون الإيمان المستخدم في ليتورجية المعمودية في الكنيسة القبطية ومعروف في علم الليتورجيات باسم قانون دير البلايزة حيث نجد مصادره الطقسية في نصوص آباء الأسكندرية وبالذات العلامة أوريجينوس .

" اعترف بإله واحد الله الآب ضابط الكل وبابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا وبالروح القدس المحيي وبقيامة الجسد وبالكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية "

حيث يقوم الكاهن بترديد هذا النص أمام الإشبين ثم يسأله ثلاث مرات قائلاً : آمنت عن هذا الطفل ؟ فيجاوبه ثلاث مرات قائلاً : آمنت[٢١] .

[٢١] كتاب صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٣٣ـ٣٤ ويلاحظ أن هذا النص يردده أيضًا الأسقف أو الأب البطريرك عند رسامته معترفًا بإيمان الكنيسة وبصفته راعيًا ومؤتمنًا ومعلمًا لهذا الإيمان.

تعاليم السيد المسيح
عن ملكوت السموات

د. ميشيل بديع عبد الملك

رسالة السيد المسيح :

كانت البشارة بملكوت السموات هى محور كرازة الرب يسوع بين الجموع، حيث يذكر القديس متى الإنجيلى: "وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت٤:٢٣). لهذا كان يحث التلاميذ والجموع التى تتبعه على التطلع للسماويات وأن يتحولوا عن كل الاهتمامات الأرضية والقلق الدنيوى وأن يكونوا مؤمنين بكل يقين أن أباهم السماوى سيعطى وسائل الحياة للذين يحبونه ولن يهمل خاصته بل بالحرى سوف يفتح لهم يده التى تشبع دائمًا الكون كله بالخير، كما يقول المرنم داود : " تفتح يدك فتشبع خيرًا " (مز ١٠٤:٢٨).

لقد دعى السيد المسيح الرسل القديسين وكذلك المؤمنين باسمه الذين على الأرض "بالقطيع الصغير" الذى سُرَّ الآب أن يعطيهم الملكوت كما جاء فى إنجيل القديس لوقا : " لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت . بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة . أعملوا لكم أكياسًا لا تفنى وكنزًا فى لا ينفذ فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس . لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضًا" (لو١٢:٣٢ـ٣٤). ويعلق القديس كيرلس على هذه الأعداد من إنجيل لوقا بقوله: [.. هو (أى المخلص) يقول إن " مسرة أبيكم الصالحة أن يعطيكم الملكوت " . وذلك

الذى يعطى أشياء عظيمة وثمينة بهذا المقدار ، ويعطى ملكوت السموات، فكيف يمكن أن تكون إرادته غير مستعدة للشفقة علينا، أو كيف لا يزودنا بالطعام واللباس ؟ لأنه أى خير أرضى يتساوى مع الملكوت السماوى ؟ أو ما هو الذى يستحق أن نقارنه بتلك البركات ، التى سيعطيها لنا الله ، والتى لا يستطيع الفهم أن يدركها ، ولا الكلمات أن تصفها " ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب إنسان ، الأمور التى أعدها الله للذين يحبونه " (١كو٢:٩). فحينما تمدح الغنى الأرضى، وتعجب بالسلطان العالمى ، فإن هذه الأشياء ليست سوى العدم بالمقارنة بتلك التى أعدها الله لنا . لأنه مكتوب : " لأن كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب " (١بط١:٢٤). وإن تكلمت عن الغنى الزمنى وأسباب الترف وعن الولائم ، فهو يقول : " العالم يمضى وشهوته " (١يو٢:١٧). لذلك فأمور الله تفوق بدرجة لا تُقارن ما يمتلكه هذا العالم . لذلك فإن كان الله يعطى ملكوت السموات لأولئك الذين يحبونه ، فكيف يمكن أن يكون غير راغب أن يعطى الطعام واللباس ؟] [1].

لقد كانت الكرازة بملكوت السموات هى محور الصدام بين الكتبة والفريسيين الذين كانت أفكارهم متعلقة بالملكوت الأرضى ، وبين الرب يسوع الذى كان يرفع عقولهم ويتكلم عن الملكوت الأبدى، لذلك أسلموه حسدًا مدعين أنه " ملك أرضى " وهذا واضح من حوار بيلاطس مع السيد المسيح الذى أسلمه رؤساء الكهنة : " ثم دخل بيلاطس أيضًا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود .. أجاب يسوع مملكتى ليست

---

[1] تفسير إنجيل لوقا ، للقديس كيرلس السكندرى (الجزء الثالث) ، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد ، إصدار مركز دراسات الآباء ، القاهرة١٩٩٦ ، ص ١٣٠ــ١٣١.

من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أُسلَّم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا " (يو١٨: ٣٣ــ٣٦).

٢ ـ ما هو ملكوت السموات :

لقد قدّم السيد المسيح للجموع أمثالاً كثيرة ليوضح لهم مفهوم ملكوت السموات الذى يكرز به ، كما أنه كان يعلّمهم الاستعداد لانتظاره . فمرة قال لهم إن ملكوت السموات يُشبه حبة الخردل والخميرة (مت١٣: ٣٣)؛ كما أنه يشبه كنزًا مخفيًا فى حقل وجده إنسان (مت١٣: ٤٤)، وكذلك يشبه إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة (مت١٣: ٤٥)؛ وهو يشبه شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع (مت١٣: ٤٧) .. إلخ . ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر مفهومين عن معنى ملكوت السموات فى تعاليم الرب يسوع :

أ ـ الكرازة بالإنجيل تشير إلى ملكوت السموات :

يعلّق القديس كيرلس الأسكندرى على ما جاء فى إنجيل لوقا (١٣: ١٨ــ ٢١) من أن ملكوت السموات (الله) يشبه حبة الخردل ، فيوضح إننا عن طريق الإنجيل نقتنى نحن الاشتراك فى ملكوت السموات، وبذلك تكون الكرازة بالإنجيل هى إشارة إلى ملكوت السموات : [فكما أن حبة الخردل هى أصغر فى الحجم من جميع البذور لكنها تنمو وترتفع إلى علو عظيم، أكبر جدًا عما هو معتاد بين الأشجار، حتى أنها تصير مأوى لطيور السماء؛ كذلك أيضًا ملكوت السموات الذى هو الكرازة الجديدة والمقدسة

بالخلاص ، والتى بها ننقاد إلى كل عمل صالح ونعرف ذلك الذى هو الله بالطبيعة والحق] [٢].

ب ـ ملكوت الله وحياة الإنسان :

ويرى القديس كيرلس أنه عندما سأل الفريسيون السيد المسيح، متى يأتى ملكوت الله، أجابهم وقال إنه لا يأتى ملكوت الله بمراقبة (أنظر لو ١٧: ٢٠ــ٣٠). ثم قال لهم " هاإن ملكوت الله داخلكم " ، فإن الرب يسوع يقدم هنا تعليمًا ومفهومًا جديدًا عن الملكوت فكأنه يقول لهم [لا تسألوا عن الأزمنة التى سيظهر فيها أيضًا ملكوت السموات ، بل بالحرى اجتهدوا لكى تحسبوا أهلاً له ، لأنه موجود داخلكم ، أى أنه يعتمد على مشيئتكم الخاصة وهو فى متناول أيديكم سواء قبلتموه أو رفضتموه. لأن كل إنسان قد حصل على التبرير بواسطة الإيمان بالمسيح، وهو متزين بكل فضيلة ، فإنه يحسب أهلاً لملكوت السموات] [٣].

٣ ـ كيفية اقتناء ملكوت السموات :

أ ــ يعلمنا الرب يسوع أن الوسيلة التى نصل بواسطتها إلى الملكوت ، هو ترك كل شئ " بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة " (لو١٢: ٣٢)؛ وهذا يتفق مع قول المرنم فى المزمور الذى كان يتكلم عن رجل صالح ورحوم : " فرّق، أعطى المساكين ، برّه يبقى إلى الأبد " (مز١١١: ٩). إذن يوجه الرب يسوع انتباهنا إلى أن أنظارنا يجب أن تتحول عن الأمور الزمنية وأن نثبت عيوننا على العالم الآتى ، الذى هو بلا نهاية . لأن عالمنا هذا محدود

---

[٢] تفســير إنجيل لوقا ، للقديس كيرلس السكندرى (الجزء الرابع)، إصدار مركز دراسات الآباء ــ القاهرة نوفمبر ١٩٩٨، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد، ص ٢٥.

[٣] المرجع السابق ، صفحة ١٣٥ .

وزمنه قصير، وفترة حياة كل فرد هنا محدودة بمقياس، أما حياتنا فى العالم الآتى فهى غير فانية ودائمة . لذلك فليكن سعينا الجدى وراء الأمور الآتية بلا تذبذب أو تردد، ولنختزن ــ ككنز لنا ــ الرجاء فيما سيكون فيما بعد . ويعلق القديس كيرلس على الهبات التى يمنحها الله للمؤمنين باسمه والذين ينتظرون مجيئه وهم فى جهادهم الروحى : [.. إله الكل يقدم لك الفردوس لتشتريه . وهناك سوف تحصد حياة أبدية، وفرحًا لا نهاية له ، ومسكنًا مكرمًا ومجيدًا . ولمجرد وجودك هناك سوف تكون مباركًا بحق وسوف تملك مع المسيح . لذلك تعال واقترب ، بحماس واشتياق واشترى المملكة ، أحصل على الأمور الأبدية بهذه الأشياء الأرضية وأربح تلك التى فى السماء ، أعطِ ما لابد أن تتركه ولو كان ضد إرادتك ، لكى لا تفقد الأمور الآتية . أقرض الله أموالك ، حتى تكون غنيًا بالحقيقة] [٤].

ب ــ يحثنا الرب يسوع أنه عندما نصلى فلنقدم هذه الطلبة " ليأت ملكوتك " كما جاء فى الصلاة الربانية (لو ١١ : ١ـــ٤). فكما يقول القديس كيرلس إن الرب يسوع [يملك على الكل مع الله الآب ، ولا يمكن أن يُضاف شئ إلى مجده الملوكى ، كأنه يزاد له من الخارج أو كأنه يُعطى له بواسطة آخر ، ولا أن ينمو معه مع مرور الزمن لأن مجده الملوكى أشرق معه بلا بداية، فهو كائن منذ الأزل وما يزال كما كان ، لذلك فلأنه هو إله بالطبيعة وبالحق ، فبالتالى ينبغى أن يكون كلى القدرة ، وتكون هذه الخاصية هى له بلا بداية ولا نهاية] [٥]. لذلك عندما يعلمنا الرب يسوع أن نصلى ونطلب مجئ ملكوته ، فإنه يشير بذلك إلى مجيئه ثانية حيث سيأتى من السماء

[٤] المرجع المذكور فى ملاحظة ١ ، صفحة ١٣٣ .

[٥] المرجع المذكور فى ملاحظة ١ ، صفحة ٢٨ـــ٣٠ .

كديّان عادل فى مجد الله ويأتى مع الملائكة (أنظر مت١٦:٢٧). لذلك نجد أن القديسون والمجاهدون يطلبون فى صلواتهم سرعة مجيء الملك الكامل المخلص ، فهم بذلك مثل الذين ينتظرون فرحًا عظيمًا على وشك الحدوث، لذلك يتلهفون مجيء هذا الحدث العظيم ، كذلك يفعل الأبرار الذين سيقفون في مجد عظيم أمام الديّان العادل ويسمعون صوته المبارك : " تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملك المعهد لكم منذ تأسيس العالم " (مت٢٥:٣٤).

ج ــ يعلمنا الرب الاستعداد والسهر لاقتناء الملكوت (أنظرلو١٢:٣٥ــ٤٠) حيث يجب أن تكون أحقاؤنا ممنطقة بمعنى أن يستعد الذهن فى أن يعمل باجتهاد فى كل أمر جدير بالمديح، وأن تكون سُرجنا موقدة ، وهذا إشارة إلى يقظة القلب والفرح العقلى . فالذهن البشرى يكون يقظًا عندما يطرد عنه كل ميل إلى الكسل الذى هو غالبًا الوسيلة التى تؤدى إلى الاستعباد لكل أنواع الشرور .

لذلك يجب على كل من يريد أن يشترك فى الحياة الأبدية ، ألاّ يكون متراخ ومنغمس فى اللذات الأرضية، ولكن بالأحرى تكون إرادته ممنطقة بشدة وأن يتميز بغيرة فى الاجتهاد فى الأمور التى بها يُسر الله كثيرًا ، كما أنه يكون ذو ذهن ساهر ويقظ ، حتى عندما يأتى ملكوت الله والرب يسوع يجده متمنطقًا وساهرًا وقلبه مضيئًا . فكل من يوجد ساهرًا متمنطقًا ــ سواء كان لا يزال شابًا أم قد صار شيخًا ــ فإنه سوف يكون مغبوطًا . لأنه سوف يحسب مستحقًا للحصول على مواعيد المسيح .

إن ملكوت السموات هو اشتياقنا طوال حياتنا هنا على الأرض، وهو ما تفرحنا به الكنيسة فى كل صلواتها الليتورجية، إذ يصرخ الكاهن برجاء قائلاً : " أهدنا يارب إلى ملكوتك " (القداس الباسيلى)، فطوبى لمن يستعد

للدخول إلى ملكوت الله ، لأنه لا أحد منا يعلم وقت انحلال العناصر ، والذى فيه سيظهر الرب يسوع بمجد أبيه ليدين المسكونة بالعدل ، ويعطى الأكاليل التى لا تفنى لأولئك المجاهدين والساهرين ، لأنه هو المعطى ، وواهب العطايا الإلهية .

المسيح والإنسان

أ. أسعد عبد السيد

إن المسيحية لا تعنى نظرة معينة إلى العالم أو نوعًا من الأفكار الخالدة، بل صلة خاصة بالسيد المسيح. هذه حقيقة فريدة يعسر إدراكها من وجوه كثيرة فالمسيح أمل للثوار والمصلحين ، يسحر رجال الفكر والبسطاء ، وينادى الموهوبين وقليلى المواهب ، ويحث على التفكير علماء اللاهوت والملحدين على السواء . كتب غاندى : " أقول للهندوسيين إن حياتهم تبقى غير كاملة إن لم يدرسوا باحترام تعاليم يسوع المسيح " .

فى شخص المسيح تتجسد حقيقيتان ملتحمتان : حقيقة الله ، حقيقة الإنسان :

بدون المسيح تظل حقيقة الله بعيدة كل البعد عن إدراك الإنسان وإحساسه ووجدانه، إذ يبقى الله وحيدًا بعيدًا منفصلاً كل الانفصال عن كياننا الترابى المُلوث بالخطية . كذلك أيضًا بدون المسيح تظل حقيقة الإنسان إما فى هوة التفاهة لخليقة ترابية ، فقدان القدرة على متابعة وجودها الخالد عاجزة عن تحقيق هدفها الروحى الأسمى ؛ وإما فى هوة العظمة المزيفة حينما يكتشف الإنسان عنصر خلوده فيتشبث به ويتأله من دون الله حيث يرى فى نفسه أصل وجوده متغاضيًا عن تفاهة جبلته الترابية الزائلة.

+ هناك أمر هام جدًا فى حياة يسوع المسيح وتعاليمه ، لم يدركه الناس فى حينه ، حيث كانت شخصية المسيح تتوراى أمام القضية التى يدافع عنها وهى قضية " **الله فى العالم** ". فلم يكن المسيح نبيًا ليتنبأ عن مجيء آخر ،

ولا رسولاً ينتهي عند تكميل رسالته، بل كان هو " كلمة الله " صار جسدًا، صائرًا فى صورة الناس آخذًا شكل العبد (فى٢:١٧) وعاش كإنسان بين الناس ودعا نفسه ابن الإنسان ولكنه كان ذا مجد الهي كمجد ابن وحيد للأب (يو ١ : ١٤) . فالمسيح احتضن العالم بآلامه وقوته وقيامته .

+ **إن أول إعلان قدمه المسيح** كان هو الإعلان عن اقتراب ملكوت الله "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (مر٤:١٧) . أى أن المسيح قد جاء ليؤسس الملكوت بين الناس فهو يدعو لملكوت واحد، ولا أحد يدخله إلا به لأنه قد صار الطريق الواحد لملكوت الله لأنه هو الوحيد الذى صالح الإنسان بالله، وصارت لنا فيه المصالحة. العلامة A . Nander[١] نياندر يقول : ــ "أن كل أنواع تعليم المسيح سواء كانت أمثالا أو مبادئ مقررة أو تناقضا ظاهريا كان المقصود منها حث العقل ليتجه إلى فهم المقصود، حتى ينفتح الوعى الإلهى داخل النفس وبالنهاية يتعلم الإنسان أن يعرف حقيقة الأمور التى كانت فى البدء تتحدى العقل وهكذا كان يلقى المسيح فى البداية أمورا تبدو غير مفهومة ولكن القصد منها أن تضغط على العقل وتتحداه لينفتح لفهمها بقدر تعمق الإنسان فى الحياة الروحية والانشغال بالله، وهكذا تصير هذه الأمور عينها منبعا دائما للنور الإلهى."

الأمثال : مع قابليتها للإدراك في صيغتها فهي تنطوي على سر هو "سر ملكوت الله ". هذه الملكوت يأتي بعمل من قبل الله و لكن البداية المتواضعة تعارض النهاية الرائعة ففي حبة الخردل الصغيرة جدًا تكمن الشجرة

[١]A .Neander , O P.CIT.P.106 .

العظيمة وفي قبضة الخميرة المدفونة في الطين يكمن الخبز الذي سيغذى الجموع ، وفي البذر غير المنظور يكمن الحصاد الوافر . إن البداية دائما تأتى مع يسوع المسيح فهو الزارع الذي خرج ليزرع والذي بفضله يقع الزرع في الأرض الطيبة ويستعد لأن يخرج مائة من الأضعاف ، في حركات يسوع البسيط وفي كلامه الملقى على الفقراء والممسوسين والمجرمين ، في كل ذلك بشرى للملكوت الذي سيوضع فيه حد للخطية والدموع والألم والموت.

المعجزات : الهدف الرئيسي منه خلاص الإنسان ، والمسيح نفسه هو مفتاح المعجزات ولا تستمد المعجزات معناها الحقيقي ألا من كلامة ، لذلك لا يجوز أن تفصل كلام المسيح وأقواله عن شخصيته هذا ما تكشفه لنا روايات المعجزات كما وردت في إنجيل يوحنا . فتكثير الأرغفة يدل على أن المسيح هو "خبز الحياة" ، وشفاء الأعمى على أنه هو "نور العالم" ، وقيام الأموات على أن المسيح هو "القيامة والحياة " . فالمسيح نفسه هو الذي يبشر بملكوت الله بالأعمال والأقوال الذي هو في الحقيقة الآية الوحيدة التي وهبت للناس و التي تدل علي اقتراب ملكوت الله .

الأقوال : في أقوال المسيح الواردة في الأناجيل نجد محبه القريب حاضرة دائما ولكن عندما يدور الكلام عن المحبة يركز بوضوح علي الأعمال لا عن الأقوال لأنها تعبر عن معنى المحبة . المحبة في طبيعتها هي محبه الله ومحبه الناس في آن واحد ، لقد استطاع المسيح أن يقول إن جميع الوصايا مجتمعه في وصيتي المحبة فهو يربط بوحدة لا تفسخ محبة الله ومحبة القريب ، ليصبح من المستحيل أن نداهن على الله ضد الإنسان.

والعكس بالعكس بل صارت المحبة مطلبًا من شأنه أن يشمل بدون حدود حياة الإنسان كلها ، مع إمكانية تطبيقها تطبيقا دقيقا في كل حالة من الحالات الخاصة . وبذلك أصبحت المحبة مقياسا للتقوى ولكل سلوك . فالقاسم المشترك بين محبة الله ومحبة القريب هو رفض الأنانية والعزم على بذل النفس . أن الله يلاقيني في شخص الآخر وهناك يتوقع أن ابذل نفسي. وهو لا يناديني من أعلى الغيوم ، ولا مباشرة بصوت ضميري وحدة ،بل قبل كل شئ من خلال القريب . وهذا النداء لا ينقطع أبدا ولكنة يستولي على كل يوم مرة بعد مرة في حياتي اليومية.

+ فيحسب مثل السامري الصالح فليس القريب الذي إلى جانبي فقط قد يكون الغريب أيضا والمجهول وأي شخص كان ، فلا يمكنني أن اعرف مسبقا من سيكون قريبي فالقريب هو كل إنسان يحتاج إليّ في الحاضر . فان المثل يحث على تجاوز الحدود القائمة بين يهود وغير اليهود، بين أقرباء وغرباء، بين أبرار وأشرار ، بين فريسيين وعشارين ، فمن خلال المثل نجد ثلاث عبارات تمكننا من حصر مفهوم **المحبة الجذريه** :

١ ــ **من أحب غفر** : إن مصالحه الإنسان مع أخيه تتقدم على خدمه الله ولا يمكنه أن يتصالح مع الله دون أن يصالح أخاه . من هنا الطلب الوارد في أل " أبانا " : اغفر لنا خطايانا.

٢ ــ **من أحب خدم** : أن التواضع وروح الخدمة هما الطريق إلي العظمة الحقيقية . هذا هو معني مثل الوليمة، فالذي رفع نفسه انخفضت مرتبته وجلب علي نفسه اللوم والانحطاط ، أما الذي وضع نفسه فقد أكرم وارتفعت مرتبته.

٣ ـ من أحب تخلي : مطلوب من الإنسان في أقصي حد أن يضحي بيده إن كانت له سبب عثره ، أن أتحلي عن حقوقي لصالح الآخرين ، أن أتخلي عن القوة حتى علي حسابي ، أن أتحلي عن رد العنف بالعنف .

+ إن رسالة المسيح " كما أرسلني الآب أرسلكم أنا " (يو ٢١:٢٠) ينبغي أن تؤثر في فهمنا لمعناها ، فيجب أن تعني لنا كما كانت بالنسبة له ، أن ندخل إلي حياة الآخرين . سيكون معني الكرازة هو أن ندخل إلي فكر الآخرين إلي مأساتهم وضياعهم ، لكي نشاركهم بالمسيح في كل آلامهم ومعاناتهم . وسيكون معني النشاط الاجتماعي هو أن ننبذ الراحة والأمان الذين توفرهما لنا خلفيتنا الثقافية كي نهب أنفسنا لخدمة أناس ذوي ثقافة أخري لم نعرف حاجتهم من قبل أو نختبرهم. لذلك إن إرسالية التجسد ، سواء كانت كرازية أو اجتماعية أو كلتيهما معاً ، تتطلب منا اندماجا مكلفاً مع الناس في مواقفهم الفعلية.

+ الإنسان هو مقياس وصايا الله ، الخاطئ مختص به بدلاً من أن يُعاقب ، لان المسيح جاء يطلب ويخلص ما قد هلك ، ويدعو الخاطئين لا الأبرار .

لقد عايش المسيح المنحرفين الذين كانوا أناس بلا رحمة ولا أخلاق وكان الناس يطلقون عليهم لقب الخاطئين كما أن خصوم المسيح وصفوة بأنه أكول وشريب وكذلك صديق العشارين والخطاة ، لقد أقام عند عشارين وخاطئين معروفين فهناك خاطئة معروفة دهنت قدمي المسيح دون ان يحتج ورواية امرأة ضبطت بجرم الزنا المشهود ونجت بفضل المسيح ، في نظر المسيح لم تكن هذه المجالسة مع أناس ينبذهم الأتقياء

مجرد عبارة تسامح وشعور إنساني بل كانت عبارة تعبر عن رسالته ، رسالة السلام والمصالحة لجميع الناس دون استثناء وبذلك فأن أساس تعاليم المسيح أن يُستجاب إلى الخونة والزناة والكذابين . على الابن الذي كد في بيت أبيه يفضل الأخ الذي انحط إلي منزلة عربيد.

وهناك غريب ممقوت يجعل قدوة للصالحين فمن الواضح أن هناك فرصة ممنوحة لكل إنسان ، تخطى جميع الحدود الاجتماعية والعنصرية والسياسية والدينية ، لا بل يرحب بالإنسان قبل أن يتوب حيث إن الغفران معروض عليه، الغفران بلا تحفظ ما عدا شرطًا واحدًا أو مسبقا هو الثقة المؤمنة أو الإيمان الواثق. وهناك نتيجة واحدة لهذا الغفران أن يغفر الإنسان بدورة فمن استطاع أن يحيا لأنه غفرت له خطايا كبيرة ، وجب عليه ألا يرفض أن يغفر خطايا صغيرة .

قيمة ومكانة الإنسان عند الله :

إن العلاقة التي تربط الله بالإنسان لا يمكن فهمها على وضعها إلا بالرجوع إلى وضعها الكامل والنموذجي في المسيح .عبر جميع الأمثال هناك موضوع واحد يكرز في تنويعات عديدة وهو موضوع قيمتنا ومكانتنا عند الله ، فالله يكشف عن نفسه في الملك الحكيم الذي يرحم ، وفي الدائن المعطاء الذي يعفي عن الديون ، وفي الراعي الذي يبحث عن الخروف الضال ، وفي المرأة التي تبحث عن الدرهم المفقود ، وفي الأب الذي يبادر إلى ملاقاة ابنه ، وفي القاضي الذي يستجيب صلاة العشار . هذه الصور كلها شرحها المسيح من خلالها أن الله هو أب أليس في ذلك تحرر عظيم للذين ترهقهم المصاعب والخطايا وداعم للسرور والرجاء .

فكرازة المسيح إذاً تتضمن ثورة عقلية بجميع نتائجها، وضميراً جديداً وتحولاً باطنياً صادقاً، يقوم على تلك الثقة التى لا تتزعزع والتى تسمى الإيمان. "**من يعيش إيمانه عيشاً صحيحاً لا يستطيع من بعد أن ينظر إلى العالم مجرد نظرة بشرية**" فإننا نحتاج إلى:

١ــ اليقين أن المسيح هو حاجة حياتنا الوحيدة التى تنقصنا.

٢ــ "اذهب وخبر كم صنع الرب بك." (مر٥:١٩)، هذه الآية توضح أهمية الصلة التى تربطنا بالعالم فى نظر المسيح. فالعالم شريك فى اختبارنا الروحي وله حق فيه، ثم هو محتاج وعطشان حقا لمعرفة واختبار ما أخذناه من الله. العالم مثل إنسان مريض، ولكنه مفتوح على الله عبر أتقياءه المخلصين. فنحن آذان العالم المفتوحة لسماع صوت الله. حياتنا بالروح وحياة المسيح فينا هى التى تؤثر فى المجتمع والعالم، إن تزكية إيمانكم "أى شهادة العالم لنا وتقييم الله لإيماننا" هى أثمن من الذهب الفانى ١بط١:٧. لذلك فإن شهادتنا للمسيح عن يقين الفكر والعمل والسلوك هى هى عملية إحياء بل تقديس للعالم، تزكينا وتزكى العالم معنا أمام الله.

٣ــ الانفتاح على العالم لكى نختبر معاناته وفرحه ونشاركه بأفعال المحبة والبذل الحقيقيين وهذا يعنى احترام الناس مهما كانت أجناسهم وأديانهم وطوائفهم وحياتهم لأن الإنسان صورة الله، هذا الانفتاح لا يذيب شخصية الكنيسة ولا يذيب الحياة الجديدة التى نلناها من الرب بموته وقيامته وجلوسه عن يمين العظمة فى الأعالي. الأب الكسندر شميمن يقول فى كتاب الصوم الكبير عن الإمكانية المستحيلة "المحبة المسيحية هى الإمكانية المستحيلة." أن نرى المسيح فى الإنسان الآخر أيا كان هذا الإنسان الذى قرر الله فى تصميمه الأبدى والسرى أن يدخله إلى حياتى ولو كان

للحظات معدودات، أن أحبه وليس أن أجعل منه فرصة لعمل صالح أو ممارسة حسنة بل هى بداية رفقة أبدية فى الله نفسه. فما هو الحب فى الواقع إذا لم يكن هذه القدرة السرية التى تتجاوز ما هو عرضى وخارجى فى الآخر: مظهره الخارجى، طبقته الاجتماعية عرفه، طاقته الفكرية وإنما تبلغ نفسه أصالة كيانه الشخصى بوصفه فرادته."

٤ـ لا نستطيع أن تكون إلا إذا كنا بالكامل علاقة مع الآخرين، فيقاس عمق كيانى وانفتاحه بنوع علاقتى مع الآخرين. كلما ازددت نسيانا لذاتى لأبذلها بسبيل الآخرين، وازددت تركا لذاتي لأصل إلى الآخرين، أصبحت صورة الله. فكل من كان باتجاه الآخرين هو حياة وكل من كان باتجاهى أنا هو موت يو(١٢: ٢٠) فعندما أساعد الآخرين على أن ينسوا ذواتهم ليبذلوها فإننى أساعدهم على أن "يكونوا".

لذلك فإن تاريخ المسيح هي حوادث تخصنى أنا، هى تاريخ حياتى الجديد كإنسان وإن الرسالة المسيحية ترتبط لا بالتاريخ فقط بل بشخص المسيح الذى كان تعليمه يشكل وحده مع مصيره وحياته وموته.

ماهية الإنسان ؟

كل حضارة تتأثر فى نهاية الأمر بالفكرة التى تعتنقها عن الإنسان، وسيُصاغ مستقبل العالم، إما على مقتضى الفكرة التى تحسب الإنسان شخصية معنوية روحية، أو الفكرة التى تنظر إليه كمجرد ترس فى دولاب اجتماعي ماثل. الإنسان، أهو شخص فرد أو عضو فى جماعة؟ أو نفس خالدة أم هو نتاج المجتمع؟. فى الأجوبة على هذه الأسئلة تفاوتت آراء الفلاسفة والمفكرين وتباينت أفكار الشعوب والأمم، وبسبب هذا التباين ثارت المنازعات بين الشعوب، وتعذر عليها أن يعيش بعضها مع بعض

فى ائتلاف وتفاهم. لذلك يجب التمييز بين الشخص وبين الفرد من ناحيتين: علاقته بإخوانه وعلاقته بالله، فالفرد يُنظر إليه فى عزلة وعلى انفراد بالنسبة للأفراد الآخرين، الذين يُفرض عليهم مطالبة أو يعقد معهم اتفاقاته. أما الشخص يُنظر إليه فى علاقته مع إخوانه الذين تربطهم به أحكام الضرورة والإرادة، ومصلحته هى مصلحتهم. من ثم يكون الفرد قانونا لنفسه، بينما يعترف الشخص بأنه يعيش فى العالم لخدمة أغراض غير نفسه وحياته، ففى داخل المجتمع هو جزء من كل، ولابد له أن ينظر إلى الصالح العام الذى قد يضحى فى سبيله بمصالحه الخاصة، أما خارج المجتمع فهو كل، وهو غرض فى حد ذاته، وقد تتعرض مطالبه مع مطالب المجتمع. يقول "بردياف" أن الشخص يختلف عن الفرد من حيث أنه يملك حياته كأنها متاع له، وهو يعلم أنه يحمل قيما تفوقه وتبرز عليه، فلا قيمة له إلا من حيث أنه خادم هذه القيم، ومتأهب أبدا أن يضحى بنفسه فى سبيلها إذا اقتضى الحال.

* إن المأساة المتعلقة "بحقوق الإنسان" هى أن هذه الحقوق لم تعنى دائما "حقوقا متساوية"، فإن الهبات الصالحة التى أغدقها الخالق علينا أفسدتها أنانية الإنسان. وإن الحقوق التى منحها الله بالتساوى لجميع بنى البشر يمكن أن تتردى بسهولة لتصبح **حقوقى** التى أُصر عليها، بغض النظر عن حقوق الآخرين أو الصالح العام. لذا فإن تاريخ العالم كان ما يزال قصة الصراع بين حقوقى وحقوقك، بين حق كل واحد وحق الكل، بين الفرد وبين الجماعة. إن يسوع المسيح هو النموذج الأسمى الذى قام بمسئوليته فى التخلى عن حقوقه الشخصية. فمع أنه "فى صورة الله" منذ الأزل، لكنه "لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذا صورة عبد،

صائرا فى الهيئة كإنسان" (فى٢: ٦ــ٨). وطوال حياته كان ضحية لانتهاك حقوق الإنسان. فقد أصبح طفلاً لاجئا فى مصر، ونبيا بلا كرامة فى بلده، والمسيا المرفوض من قبل المنشأة الدينية فى بنى شعبه الذين أُرسل إليهم، أُتهم ظلما وأُدين بغير حق وعذب بوحشية، وأخيرا صُلب وخلال محاكمته التى رافقها التعذيب، أبى أن يدافع عن نفسه أو يطالب بحقوقه لكى يضمن ــ بتضحيته بنفسه ــ حقوقنا نحن.

إن التخلى عن الحقوق، مهما بدا غير طبيعى ومثاليا، صفة جوهرية تميز مجمع الله الجديد. إذ ينبغى على الذين يطمحون إلى العظمة أن يصبحوا خداما وعلى الذى يطمح فى القيادة أن يصبح عبدا والذى يطمح فى المرتبة الأولى أن يصبح آخراً.

لذلك ربما كل ما ذُكر عن حقوق الإنسان، وما ينادى به العالم اليوم من حقوق الإنسان لكل إنسان، إنما يعود إلى أن أصل حقوق الإنسان هو الخلق. ولم "يكتسب" الإنسان هذه الحقوق أبداً. كما أنها لم تُمنح له من قبل أى حكومة أو سلطة أخرى. بل كان يملكها منذ البداية. لقد نالها مع الحياة من يد خالقه. إنها متأصلة فى خلقته. جميع حقوق الإنسان هى بالأساس الحق فى أن يكون إنساناً، وأن يتمتع بالتالى بالكرامة الناشئة عن كونه قد خلق على صورة الله. ويليام تمبل William Temple قال "ليس ثمة حقوق للإنسان إلا على أساس الإيمان بالله، فقيمتى هى قيمتى فى نظر الله. وهى قيمة عظيمة رائعة، لأن المسيح مات لأجلى." إذاً تعتمد قيمتنا على نظرة الله إلينا وعلاقته بنا.

نتيجة لذلك فإن حقوق الإنسان ليست حقوقا غير محدودة، كما لو كنا أحرارا بصورة مطلقة لنكون ما نشاء ونفعل ما نشاء. بل هى محددة بما يتفق مع كوننا الأشخاص الذين خلقهم الله ومع قصده من خلقنا.

فالمنظور المسيحى لحقوق الإنسان يؤكد على كرامة الإنسان والمساواة الإنسانية وكذلك على مسئولية الإنسان، لذلك يجب أن نقبل أن ضمان حقوق الناس الآخرين هو مسئوليتنا. الكنيسة تبعا لهذا ينبغى أن تكون الجماعة الوحيدة فى العالم التى يمكن التعرف فيها، بصورة ثابتة، على الكرامة والمساواة الإنسانية بين البشر ويقبل كل فرد فيها أن يتحمل مسئوليته تجاه الفرد الآخر.

الإنسان ذكر أو أنثى :

إن سخرية العالم القديم من المرأة أمر معروف حق المعرفة، فأفلاطون، الذى كان يعتقد بأن الروح سجينة الجسد، وأنها تتحرر لكى تتقمص جسداً آخراً، استطرد فى تفكيره هذا فاقترح بأن مصير الرجل التعيس هو أن يتقمص جسد امرأة. أرسطو أيضاً اعتبر الأنثى "رجلاً مبتوراً من نوع ما" وكتب يقول :ــ إن النساء ذكور ناقصون يولدن بسبب عدم كفاءة الأب أو بسبب تأثير خبيث لريح جنوبية رطبة". حتى الكُتّاب اليهود، أبدوا ملاحظات تنتقص من قدر النساء. عبر يوسيفوس فقال "المرأة أقل من الرجال فى كل مجال" ولم تكن المرأة بحسب الشريعة اليهودية شخصاً بل شيئاً.

بحسب شهادات الإنجيل، أحجم المسيح عن العادة التى كانت تعزل المرأة، ميلاده من امرأة، رافقته فى أسفاره مجموعة من النسوة (مر١٥: ٤٠، لو١٨: ١ــ٣ ، أع١: ١٤)، تكلم مع امرأة خاطئة كما أن بعضهم حضر

موته ودفنه (مر١٥:٤). كذلك فإن الكتاب المقدس منح منزلة للنساء تتلخص فى الآتى :

١ــ **المساواة :** (تك١:٢٦ــ٢٨)، من ذلك النص يتضح لنا أن التأكيد يتركز على ثلاث حقائق أساسية تتعلق ببنى البشر، أى أن الله خلقهم على صورته، وأنه خلقهم ذكراً وأنثى، وأنه أعطاهم سلطان على الأرض ومخلوقاتها. وهكذا ومنذ البداية كان "الإنسان" ذكراً وأنثى، وكان الرجال والنساء معا مستفيدين من الصورة الإلهية. فلا يوجد فى النص الإنجيلى ما يوحى بأن أيا من الجنسين يشبه الله أكثر من الآخر، أو أيا من الجنسين مسئول عن الأرض أكثر من الآخر. فالنص يؤكد مرتين على أن الله خلق الإنسان على صورته.

٢ ــ **التكاملية :** (تك٢:١٨ــ٢٢ ، تك١:٢٦ــ٢٨)، عناية الله أعطتنا هنا قصتين متميزتين للخلق. (تك١) بين أن الذكورة والأنوثة مرتبطتان بصورة الله، بينما يوضح (تك٢) أنهما مرتبطتان الواحدة بالأخرى، فحواء أُخذت من آدم وأُحضرت إليه، وهذا يعنى أن "المساواة" لا تعنى "التماثل" بل "التكامل".

إن التفت الإنسان إلى المسيح المصلوب والحى كان مستعدا، لا أن يعمل فقط، بل أن يتألم أيضا. وهكذا **فالإيمان بيسوع المسيح يصالح مع الله ومع النفس، ولكنه لا يُزيل مشاكل العالم**، بل يجعل الإنسان إنسانًا حقيقيًا، مسنودًا من الله، مستعدًا لخدمة الناس، طوال حياته وفى ساعة مماته.

المسيح والمجتمع
ومسيرة الألفية الثالثة

الباحث / جورج عوض إبراهيم

قبل أن نتكلم عن رسالة المسيح لابد أن نعى العصر الذى قارب أن يبدأ بعد نهاية الألفية الثانية. ما هى سماته ؟

خصوصاً سمة "العولمة"[1] ذلك المصطلح الذى طغى فى العشر سنوات الأخيرة للقرن العشرين !!

إن سمة "العولمة" ليست اقتصادية فحسب لكنها فى الواقع تفرض علاقات أكثر تعقيداً فى كل المجالات، فهى تعنى ثورة المعلومات والاتصالات بجانب الثورة العلمية غير المسبوقة والطفرة التقنية ذات الآفاق غير المحدودة وتعاظم الحديث عن حقوق الإنسان بجانب إعلاء قيم الحرية والديموقراطية والسعى إلى أشكال جديدة للعدل الاجتماعى، بالإضافة إلى نمو وتعاظم رأس المال وتحركه من داخل حدود الأوطان قفزاً إلى العولمة، إنها سرعة الحركة التى هى سمة العصر الجديد. أما سلبيات هذا العصر فهى كثيرة: ـــ فهو يحمل سمة الإسراف فى الاستهلاك الأمر الذى ينتج عنه إضعاف للاقتصاد والثروة الحقيقية ويعكس انحداراً فى الإحساس بالمسئولية الفردية. كل هذا بسبب سيادة النموذج الرأسمالى والتأكيد على حرية السوق وفتح الحدود أمام تدفق السلع والخدمات

---

[1] أنظر السيد يسين/ العولمة.. والطريق الثالث، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ص ١٥ ـــ ٢١، راجع مقالات نيافة الأنبا موسى ـــ تحديات القرن القادم ـــ أعداد الكرازة ٢٥،٢٤،٢٣، ٢٨،٢٧،٢٦ لسنة ١٩٩٩.

والمعلومات فالرأسمالية كنظام اقتصادى يقوم فى الواقع على الفردية والحرية والمنافسة والعقلانية والاعتماد على العلم والتكنولوجيا[٢].

لقد علق الإنسان آمالاً كبيرة على العلم والتكنولوجيا ولكن التقدم التكنولوجى والعلمى ليس من شأنه أن يوجد ـ بطريقة آلية ـ ظروفاً أكثر موائمة لسلوك بشرى أفضل، فلم يسبق أن عاشت البشرية قرناً شهد مذابح بالجملة، ومن قسوة فى معاملة الإنسان للإنسان، مما شهده القرن العشرون والأبشع أن المأساة مستمرة وتتفاقم.

التقدم فى مجالات الاتصال والإعلام والمعلوماتية وبالذات فى مجال الكمبيوتر قد أتاح للإنسان أن لا يكون أسير موقعه وتاريخه، وبيئته المباشرة فقط وإنما أن تتسع مداركه لتحتوى الكوكب كله دون احتياج للسفر أو للتنقل ولكن رغم أن الثورة الإعلامية أسهمت فى تقريب الناس لكن دون اتصال مباشر، ودون علامات إنسانية عضوية بينها ... وبهذا المعنى لا تجعل من تلاحم البشر، وتفاعلهم الحسى المباشر العنصر الأساسى فى هذا التقدم .

على مستوى بلادنا، يمر المجتمع المصرى بمرحلة تحول مهمة خاصة على المستوى الاقتصادى للقفز إلى آفاق القرن الحادى والعشرين، مما يتطلب وبشدة التأكيد على منظومة القيم التى تحكم توجيهه وسلوكه وضبطه نحو الهدف المنشود بدلاً من تصارع الأهداف وتصادم الطموحات لهثاً وراء الثراء وتكديس الثروات بأى وسيلة، الأمر الذى يؤدى إلى تدمير الإطار الاجتماعى من ثوابه ومسخ قيّمه.

---

[٢] انظر إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر ترجمة سعد زهران ـ سلسلة عالم المعرفة، أغسطس ١٩٨٩ ص٢١.

إن الأسباب التى أدت لاختلال منظومة القيّم فى المجتمع المصرى هى كثيرة، وابتدأت بتفكك الأسرة والجنوح للعنف والتصادم وصراع الأجيال بانهيار الأسرة الممتدة المتماسكة والتى فيها الأب الكبير هو سر الحب والسيادة والنمو لشجرة العائلة. لقد ظهر بشدة اهتزاز منظومة القيم مع بداية عصر الانفتاح الذى جعل الأغلبية الفقيرة من شعبنا يُصاب بهزة عنيفة إزاء طوفان الدعوة للتغيير والترويج لنمط جديد من قيّم السوق والاستهلاك وأصبحت تواجه الأغلبية قيّم آليات السوق وشراسة قوى رأس المال التى هدفها تحقيق الربح الذى أصبح فوق كل المقدسات والثوابت الاجتماعية. لقد اختلت منظومة القيم لدى الشباب مما سهل على اختراقه من خلال الإدمان والجنس وإدخاله فى صراع محموم لإشباع الاحتياجات الشهوانية وشاعت فى المجتمع ثقافة "القهر" فكل واحد فى موقعه يتحول إلى قاهر لمرءوسيه أو من يملك أمرهم، إنها أخلاقيات القهر التى هى نتاج الخلل فى المنظومة الاجتماعية.

وهكذا ظهرت فئة ثرية جداً فى ظل وجود معدلات تنمية بطيئة مما أحدث استقطاب طبقى وانهيار قيّمى مع توارى الطبقة الوسطى لتفسح مكاناً لطبقات صعدت صعوداً غير طبيعى، ليس من خلال السُلم الاجتماعى المتدرج بل بفضل أخلاقيات القهر والابتزاز لذلك توارت القيّم الاجتماعية والتكافل الاجتماعى وثقافة قبول الآخر واحترام العلم والعمل والإنجاز.

هذا ما يفسر سيطرة وسطوة القيم المادية التى أصبحت تقبض وتدير حركة المجتمع حتى أصبحت شهوة المادة تداهم أى التزام بضوابط معينة من السلوك الخلقى فى الوقت الذى يشهد فيه المجتمع نوعاً من التدين

الشكلى فقط الذى لا يمس الجوهر بل المظهر مما أصاب المجتمع بازدواجية أو مرض الفصام الاجتماعى.

المسيح يطلب تغيير جذرى للمجتمع :

إن ملكوت الله كشيء جديد حقيقى، قد بشر به المسيح، يأتى مضاد لكل أشكال الفساد فى المجتمع[3] فهو لا يمكن أن يتكيف مع الروابط الظالمة العتيقة للمجتمع. وهذا ما كان يعنيه المسيح بكلامه للفريسيين : "ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق. لأن الملء يأخذ من الثوب فيصير الخرق أردأ. ولا يجعلون خمراً جديدة فى زجاج عتيقة. لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف. بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً" (مت٩:١٦ـ١٧). واضح من كلام المسيح أنه لا يوجد أى تكييف بين ملكوت الله والمجتمع اللاإنسانى. إن مطلب المسيح لتغيير المجتمع نجده واضحاً فى التطويبات : "طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون طوباكم أيها الباكون لأنكم ستضحكون، طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. أفرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا فهوذا أجركم عظيم فى السماء لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء" (٦:٢٠ـ٢٣).

لم يرد المسيح بهذا الكلام أن يقول للفقراء احتملوا فقركم هذا وسأعدكم بسعادة فى الحياة الأخرى. النص هنا يمثل فوران شديد ضد الظلم الموجود فى المجتمع. هذا الكلام موجه لكل الناس المقهورين فى كل عصر، المسيح لا يُطوّب هؤلاء الذين يملكون ناصية الديانة أو الذين لهم مكانة سياسية،

---

[3] بورغوس ماتزارديس ـــ علم الاجتماع المسيحى ـ تسالونيكى ١٩٩٠ ص١٧٦ ـــ ١٧٧.

لكن الفقراء والحزانى والجوعى والمظلومين لأنهم يجاهدون لأجل إحقاق العدالة.

لقد كشف المسيح عن زيف معايير هذا العالم وعن زيف الأنظمة غير الإنسانية. وفى نفس الوقت بشر بأن ملكوت الله لم يُعين للذين فى المرتبة الأولى بحسب معايير هذا العالم ولكن للذين هم آخر الكل، للمقهورين. والتطويبات لا تعنى بدون شك أن الفقر والجوع والألم بحد ذاتهم يمثلون تذاكر لملكوت الله. لكن تعبر عن إدانة واستنكار للمعايير التقيمية لهذا العالم فهى تُبشر بإتيان عالم جديد، عالم ملكوت الله الذى يهدف إلى تغيير الإنسان من روابط الخطية والظلم والقهر. ومن الجدير بالذكر أن طلب تغيير المجتمع له بعد أُخروى (اسخاتولوجى) لأن المسيحيون لا يعيشون فقط لأجل الحاضر، لأجل التاريخ فقط ولكن شاخصون للحياة الأبدية، للمستقبليات الاسخاتولوجية حيث تحرر الإنسان وسعادته تكون كاملة. البعد الاسخاتولوجى لا يضعف الاهتمام بالحاضر والتاريخ، لكن العكس يدعو الإنسان أن يجاهد لكى يُغير الحاضر تحت قيادة النور المستقبلى. الأُخروية لا تلغى التاريخ والعالم بل تعمل على تجليهم وتكميلهم. لأجل ذلك فإن نهاية العالم التى تكلم عنها المسيح (مت٢٤: ١ــ٤٥ ، مر١٣: ١ــ٣١ ، لو ٢١: ٥ــ٣٧) لا تعنى زوال هذا العالم لكن تجليه. المسيح نفسه تكلم عن الميلاد الثانى (مت١٩: ٢٨)، عن الخلق الجديد والرسول بطرس تكلم عن أزمنة رد كل شئ أى رد مجد الخليقة الأولى : "الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شئ التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر" وذلك بإتيان المسيح، بحلول ملكوت الله خاصة بنور البعد الاسخاتولوجى. إن تاريخ سقوط الإنسان ينسحب ويترك مكانه لتاريخ

الفداء. فى هذا الإطار فإن ملكوت الله يُعطى للعالم والتاريخ معنى، وكمال ووحدة.

إن دور ملكوت الله فى بعده الاسخاتولوجى هو دور تجديدى، إعادة خلق للواقع التاريخى، "هو ثورة من فوق" تتطلب خلق عالم جديد، عالم ينقاد بنور ملكوت الله ويتجه دائماً للحياة الفضلى والأكثر الإنسانية.

هكذا فإن أخلاق ملكوت الله والتى كرز بها المسيح لا تهدف إلى تثبيت ومساندة الأنظمة الفاسدة والغير إنسانية فى المجتمع، إنها أخلاق التغيير.

والتغيير سمة من سمات مجتمع الألفية الثالثة وتعنى التعديل المستمر نحو بلوغ حياة أفضل على المستوى الشخصى وعلى مستويات المؤسسات والأنظمة لأن جمود الأوضاع لفترات طويلة ضد سرعة الحركة والتطور الأمر الذى يسبب عقم فى الفكر والإبداع والخلق والتى هى سمات خلق الإنسان "على صورة الله ومثاله". على الجانب الآخر فغن التغيير المستمر من أجل التطوير للأفضل يمنع إيجاد الإمبراطوريات وتأليه الأفراد ويزيد الأمل والطموح عند الشباب قبل الكبار.

لذلك فإن "أخلاق التغيير" أو "أخلاق ملكوت الله" تتطلب من المسيحى أن يجاهد ويعمل لكى يواجه المشاكل الاجتماعية حتى يساهم فى بناء عالم أفضل من الآن فصاعداً، أى داخل التاريخ. هذا الجهاد يجب أن يكون مستمر وغير متوقف. لكن علينا أن نأخذ فى الاعتبار أن حالة الكمال التام للعالم الجديد، عالم ملكوت الله لن يتحقق فى الحاضر، لأن هذه الحالة ليست قضية هذا العالم الحاضر ولكن التحقيق يتم فى الحياة الأبدية وهذا نستقيه من البعد الأُخروى (الاسخاتولوجى) لملكوت الله كما ذكرنا سابقاً. إذن الكمال سيتحقق بعد نهاية هذا العالم، فى الأزلية "وسمعت صوتاً عظيماً

من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دمعة لهم والموت لا يكون فى ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش ها أنا أضع كل شئ جديداً .." (رؤ ٢١:٣ــ٥).

هذا التشديد على تحقيق الكمال فى الأبدية لا يسبب إحباط فى مسيرة الجهاد لأجل الأفضل لأن المسيحى يعلم جيداً أن الإمكانيات والقدرات فى هذا الاتجاه هى غير محدودة، وأن الذى يعمل فينا هو روح الرجاء والتفاؤل ومن جهة أخرى هذا التشديد يجعل المسيحى يتجنب أى تطابق لعالم ملكوت الله مع أى نظام اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى أو أى تطلع قومى، كما حدث فى زمن المسيح، إذ أن آفاق ملكوت الله كان ضد الأنظمة الدينية والسياسية والاجتماعية فى عدم إحقاقهم للعدل بل كان ضد التطلع القومى لليهود أي فكرة "المسيا السياسى".

وعلى هذا الأساس سيظل هناك شد وتوتر بين عالم ملكوت الله (النور) وكل الأنظمة والمؤسسات التى تسعى على قهر الإنسان وتحويله إلى "ترس" فى آلة (الظلمة) لتحقيق أغراضها الدنيئة.

مما سبق نجد أن أخلاق التغيير لا تخص الحالة الروحية للإنسان ولكن تشمل كل حياة الإنسان بعلاقاتها المتعددة. وإذا كان القرن الحادى والعشرين يحتاج إلى إنسان من نوع جديد فإن أخلاق ملكوت الله تستطيع أن تخلق هذا الإنسان القادر على مواجهة التغييرات والتعامل مع المجهول، إنسان متعدد المهارات والخبرات قادر على التعليم الدائم، يقبل إعادة التدريب والتأهيل عدة مرات فى حياته حتى يمكنه التنقل من عمل إلى

آخر. فإنسان ملكوت الله لديه إحساس بالزمن والتحولات التى تجرى بسرعة هائلة من حوله ليمكنه مسايراتها حتى لا تعدو بالنسبة له صدمة. إن أخلاق التغيير أيضاً تمس تغير المجتمع وذلك بالتربية لإعداد هذا الإنسان الجديد، التربية التى تصقل العقل وتنمى القدرات على النقد والإبداع والابتكار، وعلى الفهم والتحليل، بالتربية التى تحرر الذهن من الخرافة وعتاقة التقاليد، وتؤصل القيم وشمولها وتكاملها، بالتربية التى لا تجد صراع بين الإيمان والعلم بل ترى أنه من الإيمان أن نشجع العلم الذى يرفع الإنسان ويرقى بالمجتمع، بالتربية التى تقوم على التعاون مع الآخرين وليس الذوبان فيهم، بالتربية التى تقوم على الاختلاف بدلاً من التسليم بالأفكار والمعلومات السائدة.

المحبة هى الطريق المؤدى لعالم ملكوت الله وأساس ثان للسلوك الأخلاقى:

لو أن ملكوت الله ــ كما رأينا ــ هو القمة التى يدعونا إليها المسيح فإن المحبة هى الطريق المؤدى إلى لاحتلال هذه القمة. إنها الوصية العظمى للناموس بحسب رأى المسيح فى رده على أحد الناموسيين فى سؤاله عن ما هى الوصية العظمى للناموس؟ "فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢:٣٧ــ٤٠). المسيح نفسه قد لخص فى العظة على الجبل الناموس والأنبياء فى "القانون الذهبى" المعروف للسلوك الإنسانى : "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء" (مت٧:١٢).

هذا القانون فى شكله الإيجابى يرفع من شأن الإنسان الآخر وهو عند المسيح كتعبير محدد للمحبة نحو القريب وهذا يعنى أن وصية المحبة بهذه الثنائية (الله والقريب) تظل هى القانون السامى للحياة الأخلاقية للإنسان فى تعاليمه. لقد أخبرنا القديس يوحنا الإنجيلى أن المسيح قبل آلامه اعتبر وصية المحبة ليست فقط وصية جديدة بل ملمح أساسى للمسيحى : "وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضنا لبعض" (يو١٣:٣٤ـ٣٥). كذلك القديس بولس يعتبر المحبة كتكميل للناموس : "لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك، المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هى تكميل للناموس" (رو ١٣:٨ـ١٠). وهكذا فإن الوصية الثنائية للمحبة تعتبر جوهر الإنجيل أنها الإسهام العظيم للمسيح فى المجال السلوكى الأخلاقى، أنها التعبير الكامل عن الفداء والتحرر فى المسيحية، أنها كل المسيحية.

مما لا شك فيه أن وصية المحبة نجدها فى العهد القديم، محبة نحو الله: "اسمع يا إسرائيل البر إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث٦:٥)، ومحبة نحو القريب : "لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك أنا الرب" (لاويين١٩:١٨).

أيضاً نجد وصية المحبة عند فيلون اليهودى والرواقيين ونفس الشىء فى القانون الذهبى (فى شكله السلبى) معروف لدى الحضارة اليونانية والرومانية وقد تبنته اليهودية فى شكله السلبى.

لكن هنا سؤال يفرض نفسه ما هو الجديد الذى أضافه المسيح لوصية المحبة؟

المسيح لم يتبنى القانون الذهبى بملمحه السلبى، على العكس، يمثل "القانون الذهبى" الجوهرة الثمينة للضمير البشرى، والجديد هو صياغته وشكله الإيجابى "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء" (مت٧:١٢). واضح أن هناك فرق كبير بين "لا تفعل لأخيك ما لا تريده أنت لنفسك" وبين "تصرف هكذا مع اخوتك كما تريد أنت منهم أن يتصرفوا تجاهك".

الصياغة السلبية تُعبر عن سلوك أخلاقى سلبى، أخلاق دفاعية تحاول أن تهرب من الشر. إنها أخلاق يُسيطر عليها خوف الخطية وتجاهد لكى تهرب. بالعكس الصياغة الإيجابية "للقانون الذهبى" يؤسس سلوك أخلاقى لا يكتفى بالهروب من الشر والخطية ولكن سلوك جرئ ينقاد بنور الصلاح إذ يجاهد من أجل تحقيقه.

الصياغة الأولى :ــ تعبر عن سلوك سلبى Παθητική

بينما الثانية عن سلوك فعالἐνεργητική هذه الصياغة الإيجابية للقانون الذهبى لم تكن بالصدفة بل هى مضادة لناموس موسى الذى يغلب عليه الشكل السلبى: "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبد ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك (خر٢٠:١٣ــ١٧).

إن المسيح لم يكتفى إطلاقاً بالهروب من الشر بل الأخلاق الإيجابية هى ذات قيمة عليا عنده فهو يطالب بأخلاق عملية إيجابية وقد عبر عنها

بوضوح فى الموعظة على الجبل. أنها وصية جديدة تماماً فى هذا الإطار مما يجعلنا نتكلم عن عنصرين هامين هما : ــ

+ المكانة المركزية (المحورية) لوصية المحبة فى السلوك الأخلاقى عند المسيح:ــ

عند المسيح ــ كما رأينا ــ نجد أن وصية المحبة تمثل تلخيص للناموس وهى المحور الأساسى للسلوك الأخلاقى أنظر (مت٢٢:٣٧ــ٤٠) هذا الاختزال والإيجاز فى وصية واحدة غير مفهوم لدى الفريسيين الذين كان يوجد عندهم كم هائل من الوصايا تنظم حياة الإسرائيلى[4]. وهكذا فإن وصية المحبة ليست مبدأ أخلاقى أو فضيلة أخلاقية وسط فضائل أخرى ولكن تمثل معيار أساسى لكل الفضائل والمبادئ والنواميس وكل قوانين السلوك الإنسانى إذ تضفى عليهم معنى.

+ شمولية وصية المحبة : ــ

إن هؤلاء الذين سمعوا المسيح يكرز بالمحبة نحو القريب قد أدركوا كيف أن القريب له معنى أشمل وأعم عن ما كان ينادى به الإسرائيليون، القريب هو الإنسان الذى من جنسهم ومن دينهم. فإن أى إنسان غير يهودى لا يمكن أن يُعتبر إنسان يستحق المحبة ولكن المسيح أعطى مفهوم جميل جداً للقريب. لقد سأله أحد الناموسيين عن من هو قريبى فأجابه بطريقة غير مباشرة وطرح مثل السامرى الصالح (لو١٠:٣٠ــ٣٧).

هل أراد أن يشدد على التزام وواجب أن نساعد ونقف بجانب الإنسان المتألم، والمحتاج؟ الإجابة ليس هذا فقط بل أراد المسيح أن يجيب على سؤال الناموسى عن من هو قريبى؟ أى أراد أن يوضح محتوى مفهوم

[4] أنظر مت٢٣:١٣ــ٣٦.

"القريب" قائلاً للناموسى "اذهب وافعل أنت نفس الشيء" افعل ما فعله السامرى الصالح، عندما وجد أمامه إنسان متألم فقرر أن يساعده بدون أن يفحص قوميته أو ديانته، هكذا لابد أن يفعل مثلما فعل السامرى الصالح: أن يساعد دون أن يفحص هوية المحتاج أى لا تفحص أى قومية ينتمى إليها أو أى مذهب دينى يُعتنق فطالما هو إنسان فهو قريبك، هو أخيك بغض النظر عن القومية التى ينتمى إليها ولا الديانة التى يتبعها ولا اللغة التى يتكلمها ولا حتى اللون الذى لجلده ولا حتى الطبقة الاجتماعية التى هو منها.

هذا المفهوم يمثل صدمة للفكر اليهودى وقتذاك لأنه يختلف اختلاف جذرى عن ما نادى به اليهود فى زمانه، فالإسرائيليين كانوا يعتبرون الأمم الغير يهودية نجسون والمكان الذى يعيشون فيه أيضاً نجس، وعلى ذلك فأى اتصال معهم كان مرفوض تماماً (عاموس٧:١٣ ، هوشع٢:٣). هكذا كان القريب لدى الإسرائيلى هو فقط من يتفق معه فى الجنس والدين (لاويين١٩:١٨)، أيضاً كان هناك هوة فاصلة وكراهية قومية ودينية شديدة تفصل بين اليهودية والسامريين. لقد اختلط السامريون بالأجانب (الأمم) خاصة عندما جلب الآشوريون هؤلاء الأمم ليعيشوا معهم، بينما الإسرائيليون رفضوا بشدة أى اتصال معهم لأنهم فى نظرهم نجسون والمسافة الفاصلة بين السامريين واليهود قد زادت وصارت أكبر عندما أسس السامريون حوالى سنة ٣٢٠ ق.م. هيكل خاص بهم على جبل "جرزيم" واستمرت هذه الهوة الفاصلة حتى زمن المسيح.

هذا ما يفسر ما قالته السامرية للسيد المسيح : "كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين"(يو٤:٩).

لذلك عن قصد سرد المسيح مثل السامرى الصالح وعن قصد ووعى أيضاً ذكر الكاهن واللاوى لكى يُعلم أن (القريب) عند الإنسان هو أى إنسان فمع مسكونية الحب نحو القريب تصير كل القيود الطبيعية للإنسان مع أسرته وشعبه نسبية وهكذا قد نزع المسيح عنصر القومية والدين من محتوى مفهوم القريب، فعند المسيح قريبنا هو كل إنسان فقط من المنظور الحقيقى الواقعى أنه إنسان. لقد أشاع المسيح ثقافة "قبول الآخر"[5] التى تتجاوز الهوية الدينية والقومية والوضع الاجتماعى الطبقى ونوع الجنس ذكراً أم أنثى وملامح الوجه أو القوام الجسمانى ...... الخ.

إن "قبول الآخر" هو أساس قواعد التمدن والحضارة ودعوة المسيح للمحبة والتسامح الثقافى إزاء من يختلفون ديناً وثقافة وسلوكاً هى الاحتياج الملح على مستوى الوطن الواحد وعلى المستوى الدولي. فالإرهاب ومشاكل التعصب الدينى والعرقى هى آفات القرن العشرين الذى هو على وشك الانتهاء والكارثة أن تستمر فى مجتمع الألفية الثالثة. فكما أن الحرب العالمية الأولى فى التاريخ المعاصر هى أكثر الحروب بربرية والحرب العالمية الثانية هى أول حرب تستخدم فيها القنبلة الذرية لإبادة البشر بغير تمييز، فإن العقد الأخير من القرن العشرين سيذكر باعتباره الشاهد على همجيته حيث حدثت أخطر حالات الاعتداء على حق الإنسان فى الحياة!! هذا الاعتداء أخذ أشكال متعددة منها ازدواجية المعايير فى تطبيق معايير حقوق الإنسان فى الممارسة الدولية المنحرفة، بروز النزعات القومية المتطرفة وظهور دعوات متعددة للانفصال خاصة مع سقوط الاتحاد

---

[5] عن ثقافة "قبول الآخر" أنظر د/ ميلاد حنا ، الأهرام ١٩٩٩/٤/٢٧ ، أيضاً طارق حجى المرجع السابق ص ١٧ــ٢٥.

السوفييتى، أيضاً ظاهرة التطهير العرقى التى تستند على مبررات تاريخية وسياسية لابسة ثوب النازية من جديد وخطورة التطهير العرقى فى أن يقف الإنسان ضد أخيه الإنسان الذى كانت تضمنها من قبل دولة واحدة وذلك لأنه يختلف معه فى السلالة أو الدين إنها ثقافة إبادة الآخر بدلاً من "قبول الآخر" أو ثقافة "التسامح" أو "المحبة" التى نادى بها المسيح فى تعاليمه.

إن "ثقافة المحبة والتسامح" التى نادى بها المسيح لا تتجاوز فقط الحدود القومية والدينية والنوع والجنس ذكراً أم أنثى أو اللون أبيض أو أسود أو القوام الجسمانى سليم أم معاق ولكن تتطلب المحبة نحو العدو، هذه المحبة قد صاغها المسيح بقوة خاصة فى الموعظة على الجبل : "سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم .. باركوا لاعنيكم .. أحسنوا إلى مبغضيكم .. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. لكى تكونوا أبناء الذى فى السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون. أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٥:٤٣ـ ٤٨).

المسيح هنا يطلب شئ أكثر من الذى فعله السامرى الصالح، لأنه ذاك انتصر على تعصبات القومية والدين وعلى الخلفية المتراكمة التى كانت تفصل بين السامريين واليهود وساعد إنسان كان يعانى من الألم. هذا الإنسان الجريح لم يكن عدو شخصى له. ولكن المسيح يطلب المحبة نحو

العدو! المحبة نحو العدو الشخصى والقومى والعدو الدينى، والمحبة نحو العدو الذى يكرهنا ويطردنا. لقد أراد المسيح أن يحذرنا من خطوة تقسيم الناس إلى أصدقاء وأعداء بل نحب الكل دون استثناء مثلما يشرق على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. إنها أخلاق "الكمال" فلابد أن نسعى للكمال كما أن أبانا السماوى هو كامل. إذن المعيار هو الله نفسه فى محبته للكل.

تطابق المحبة نحو الله بالمحبة نحو القريب:

هذه المحبة نحو الله تطابق مع المحبة نحو القريب (الأخ فى الإنسانية) خاصة المتألم والمقهور والمظلوم هذا التطابق يصبغ كل تعاليم المسيح جداً فى إصحاح ٢٥ لمتى حيث المسيح يمدح بشدة هؤلاء الذين ساعدوا ووقفوا بجانب اخوتهم المتألمين والمقهورين "بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى الأصاغر فبى قد فعلتم" (مت٢٥:٤٠). بينما هؤلاء الذين لم يقفوا بجانب اخوتهم فى الإنسانية يكلمهم بلغة قاسية قائلاً: "الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا" (مت٢٥:٤٥). وهكذا فى إصحاح الدينونة متى٢٥ تتطابق المحبة نحو الله مع المحبة نحو الأخ فى الإنسانية، خاصة المتألم لدرجة أنه لا يمكن أن تفهم الواحدة بدون الأخرى والذى يدعو للدهشة والإعجاب أن محبة الأخ (الآخر) هو تعبير محدد للمحبة نحو الله. وهذا يعنى أن برهان محبة أحد لله هى فقط محبته للآخر "لأنه من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره" (يو٤:٢٠) وهذا يعنى أن كل إدعاء محبة نحو الله لا يكون دائماً محبة نحو القريب "الآخر" والعكس صحيح المحبة للآخر عندما تتحقق بدرجة عظيمة من الشفافية هو بحسب الضرورة محبة نحو الله.

التشديد على قيمة الإنسان تصل هنا، بدون شك إلى قمة ذروتها، وهذا واضح فى كل تعاليم المسيح وأعماله. هذا التشديد على الإنسان لا يعنى رفض لله بل على العكس، نُعظم الله عندما نعظم الإنسان وننكر الله عندما ننكر الإنسان. الله الذى كرز به المسيح هو غريب تماماً عن الفكر اليهودى عن الله، فهو ليس فقط كلى القدرة، مُرهب، ومخيف ويعاقب بل الله عند يسوع هو أبونا (مر١٤:٣٦). الحنون الذى هو رفيق رحلة الإنسان ويشاركه الألم وكل متاعب الحياة (راجع مت٢٥:٣١، لو١٥:٤ـ ٧،٣٢:١١ على سبيل المثال).

إله يسوع المسيح لا يُقدم محبة فقط بل هو نفسه المحبة: "ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة. بهذا أظهرت محبة الله فيناء أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. فهذه هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو٤:٨ـ١٠). إله يسوع يُعلن بأكثر من ذلك فى شخص يسوع (انظر مر٢:٥ـ١٠ ،مت١١:٢٧ ،يو ١٠:٣٠ ،١٢:٤٥). لقد أعلن الله نفسه فى حياة المسيح، نشاطه، آلامه، وموته إذ يظهرون أن إله يسوع المسيح هو إله لأجل الإنسان مثلما وُجد المسيح كإنسان لأجل الإنسان. أنه الإله الذى يتضامن مع الإنسان وخاصة الإنسان المقهور، والمريض، والشيخ، والغير قادر على العمل، والمجرم البائس والرؤساء وكل من هم فى منصب، وفى نفس الوقت، هو ضد الظلم والاستغلال والفقر والوضاعة وكل أشكال القهر.

إذا كان العصر الراهن بما يحتويه من تقدم (تكنولوجى) قد أعطى العقل قيمته العالية، وأن العقل الذى يخطط للمنفعة الشخصية، وما يحقق المصلحة الفردية هو غاية الإنسان القصوى فإن روح العصر المادية لا

ينبغى أن تطمس فى الإنسان جوهره الأصيل المتمثل فى كيانه البشرى وقيمته الحقيقية تلك التى تتجسد ثقافة "المحبة" والتى تنادى باحترام الآخر وذلك من خلال العطاء الخير المخلص الذى يتبادله على مسرح الحياة مع أخيه فى الإنسانية بروح المحبة والخدمة والتعاون. علينا أن نعترف أن سلوك الحياة الجديدة لابد أن تتطلب اعترافاً من العقل رغم قدراته على البحث والتفكير والإبداع بالاحتياج إلى النور الإلهى والكشف المستمر من الله حتى لا ينحرف الإنسان ويضل الطريق اعتماداً على عقله وعلى ذاته (أنانيته)، بل يجد ضالته فى الحُب، فى العطاء بلا مقابل حتى يزدهر الآخر ويبقى سعيداً.

الفعل (العمل) هو معيار المحبة عند المسيح

إن المحبة التى نادى بها المسيح لا تُفهم إلا بارتباطها الشديد بالعمل أو بتفعيلها، فالمسيح لا يُعلم ولا يكرز بمحبة عاطفية ولكن بالمحبة العاملة، لذلك يشدد على ذلك فى الموعظة على الجبل : "ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات.كثيرون يقولون فى ذلك اليوم يارب يا رب ألي باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرخ لهم أنى لم أعرفكم قط فاذهبوا عنى يا فاعلى الإثم. فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ..... وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه رجل جاهل بنى بيته على الرمل ..." (مت ٧:٢١ـ٢٧).

واضح من هذا النص أن المسيح يُعطى أولوية ليس لاعتراف الإيمان النظرى المستقيم لكن للعمل والفعل وإتيان الثمار . ذلك الذى له أهمية

حاسمة هو ليس قبول حقائق إيمانية نظرية لكن بالمحبة العاملة. المسيح لا يطلب فقط تغيير داخلى لكن ترجمة هذا التغيير إلى عمل وفعل. وهذا يظهر جلياً فى مثل التينة غير المثمرة : "كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه. فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد. فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة ولم أجد. اقطعها. لماذا تبطل الأرض أيضاً. فأجاب وقال له يا سيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً وإلا ففيما بعد تقطعها". (لو١٣:٦ــ٩).

لقد كرز أيضاً يعقوب أخو الرب بالضرورة المطلقة للعمل: "ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم" (يع١:٢٢).

الإيمان وحده لا يكفى "لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت" (يع٢:٢٦). الرسول يعقوب لا يشكك فى قيمة الإيمان، لكنه يرفض الفكر الذى يكتفى فقط بالإيمان، كذلك الفكر الذى ينادى بأنه يستطيع أحد أن ينتظر كل شئ من النعمة الإلهية.

لا يوجد مجال للشك فى أن المسيح أعطى أفضلية أو أولوية مباشرة للعمل، لكن أى عمل يطلب؟ المسيح يطلب العمل الذى تسمح به الوصية الجديدة التى هى المحبة، وهذه الوصية ليست موقف عاطفى عام وحسب، بل محبة عاملة محددة، لشخص محدد، وهذا يعنى المساندة والوقوف بجانبه فى احتياجاته ومشاكله التى يواجهها "هنا والآن" (راجع رو١٢:٩ــ٢١).

"لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً" (فيلبى٢:٤).

هذا ما فعله المسيح إذ صار إنسان لأجل الإنسان، وواضح جداً فى مثل السامرى الصالح (لو١٠:٣٠ــ٣٧) والإصحاح ال٢٥ لإنجيل متى.

علينا أن نتشبه بالسامرى الصالح الذى فعل كل ما عنده لكى يداوى جراحات إنسان وينقذه، على العكس،[1] أدان المثل السلوك القاسى للكهنة واللاويين الذين رأوا كم كان الإنسان جريح بين حى وميت ولكن عبروا عليه دون أن يفعلوا شيئاً. لقد أراد المسيح بهذا المثل أن يعلمنا بأن المحبة نحو أخينا فى الإنسانية تعنى الدفاع والوقوف بجانبه حتى يستطيع أن يواجه مشاكله التى تؤرقه.

أيضاً إصحاح متى٢٥ خصوصاً المقطع الذى يتكلم عن "الدينونة العتيدة" (مت٢٥: ٣١ــ٤٦) فى هذا المقطع نجد أن المعيار الذى سوف يدين به المسيح الإنسان هو موقفه إزاء مشاكل واحتياجات الأخ فى الإنسانية ، فالمحبة نحو الله والقريب تعنى صراعاً لا يهدأ حتى يتخلص الأخ فى الإنسانية من سياط الحرمان والضعف، من المرض، من الأمية، ومن كل أشكال القهر. المحبة تعنى عند المسيح صراع حتى تزال المعطلات فى طريق سعادة الإنسان.

وهنا سؤال يفرض نفسه: هل هذه المحبة العملية التى يطلبها المسيح، يجب أن تمارس على مستوى الفرد أم المجتمع؟

إن الوصية الجديدة للمحبة تتطلب ليس فقط إنسان جديد بل ومجتمع جديد، فأخلاق المحبة وثقافة "قبول الأخر" و "ثقافة التسامح" التى علمها المسيح لها نتائج اجتماعية شاملة تطلب من الإنسان أن يغير الروابط الاجتماعية ويؤسس عالم يسوده العدل، عالم أكثر إنسانية. ومن جهة أخرى، فإن المحبة لا يمكن أن تتصالح مع عادات وروابط وبرامج اجتماعية تعتبر الإنسان شئ أو أداة لكى ترضى أهدافها أو أيدلوجياتها أو محبة المجد الباطل، لقد قاوم المسيح بشدة الظلم "تباعدوا عنى يا جميع

فاعلى الظلم" (لو٢٧:١٣)، وطالب بعالم جديد خالى من أناس مقهورين. لذلك لم يُعطى المسيح لتلاميذه بنود تعليمية ولكن أن يكرزوا بملكوت الله وهذا له أهمية خاصة، أن يحرروا الناس من كل أشكال الضعف والمرض والقهر : "وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين أنه قد اقترب ملكوت السموات اشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. اخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا". (مت١٠:٧ــ٨).

الملامح الاجتماعية لتعاليم المسيح

رغم أن تعاليم لها صبغة شخصية تدعو الإنسان الفرد بأن يعى ويدرك مسئوليته تجاه "الله" إلا أنها لا تتجاهل الحياة الاجتماعية ومشاكلها. فكما اهتم المسيح بخلاص النفس الإنسانية، اهتم أيضاً بالجسد الإنسانى، وكما اهتم بخلاص الفرد، اهتم أيضاً بالمشاكل الاجتماعية.

وفى الحقيقة أن المسيح لم يكن مدركًا فقط لمشاكل عصره الاجتماعية لكنه أيضًا أخذ موقفاً واضحاً تجاهها. فالمسيح لم ينشغل بتفسير وجود الشر بل جاهد وصارع ضد قوات الشر، فكان نشاطه فدائى تحررى، جهاد ضد الاحتياج والضياع الإنسانى.

أن تعاليم المسيح عن ملكوت الله وأيضاً عن وصية المحبة بلا حدود نحو الله والقريب ــ كما رأينا ــ لها نتائج اجتماعية عظيمة ولا يوجد فصل بين الجانب الفردى والاجتماعى للسلوك الأخلاقى.

فإن بناء ملكوت الله ومحبة الله والقريب لا يتطلبان فقط تجديد للإنسان ولكن تجديد المجتمع أيضاً. المشكلة الاجتماعية الواضحة والتى كانت فى زمن المسيح هى الطبقية، فالناس انقسموا إلى قسمين: الأول: **المستغِلين**. والثانى : **المستغَلين** ــ أو إلى أغنياء وفقراء فاليهود فى القرن الأول كانوا

مضغوطين ومقهورين من الاستغلال الوحشى لهم من الرومان، ومن جهة أخرى من عائلات الرؤساء الدينيين الذين اغلبهم كانوا يتعاونون مع المحتلين الرومان.

(أ) المسيح ــ بلا تحفظ ــ كان بجانب الفقراء

إن اهتمام المسيح الكبير للفقراء قد عبر عنه منذ بداية نشاطه العلنى فقد تكلم فى الناصرة كاشفاً مكرراً كلمة نبوة إشعياء (ص٦١) مبرهناً أن رسالته هى رسالة تحررية للفقراء والمتألمين. "روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية" (لو ٤:١٨).

نفس الكلام قد قاله تقريباً لتلاميذ يوحنا المعمدان عندما سألوه عن هل هو المسيا؟ "اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران، العمى يبصرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون والمساكين يبشرون" (مت١١: ٤ــ٥).

لقد التفت المسيح ووضع كل اهتمامه وحنانه نحو الإنسان المتألم. لقد ركز متى الإنجيلى على نشاط المسيح المحب للبشر فى منطقة الجليل " وكان يسوع يطوف فى كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب فذاع خبره فى جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين شفاهم" (مت٣:٢٣ــ٢٤).

هنا نجد علاقة متينة بين ملكوت الله ومعجزات المسيح التى أتمها، أى أن معجزات المسيح تمثل برهان على أن عصر الفداء (التحرر) قد بدأ فعلاً. وهذا يعنى دخول المستقبل الاسخاتولوجى فى الحاضر. إن المعجزات

وخصوصاً التى تخض إشباع الجياع وشفاء المرضى يظهرون مدى اهتمام المسيح ليس فقط بالنفس ولكن بجسد الإنسان كوحدة واحدة جسد ونفس.

إن موقف المسيح تجاه الفقراء والمتألمين نجده أيضاً واضحاً فى التطويبات "طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون" (لو٦:٢٠ـ٢١).

لكن المسيح لا يكتفى بمساندة الفقراء والمجربين فى هذه الحياة بل هو يطابق نفسه بهم، وهذا يظهر بوضوح فى إصحاح ٢٥ من إنجيل متى "تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأنى جعت فأطعمتمونى عطشت فسيقيتمونى كنت غريباً فآويتمونى .. يا رب متى رأيناك جائعاً .. ومتى رأيناك غريباً .. الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى الأصاغر فبى قد فعلتم.." (مت٢٥:٢٣ـ٤٥).

هنا يطابق المسيح نفسه بالفقراء، بالإنسان المهمش، بالأصغر، بالضعيف، لقد رفع من شأن المرأة وأظهر حباً عظيماً نحو الأطفال، على عكس المجتمع الرومانى واليهودى الذى همش الأطفال لقد أخذ المسيح موقف إيجابى مؤثر تجاههم (انظر مر٩:٣٦ـ٣٧ ، ١٠:١٣ـ١٦ ، مت١٨:٣ ، ١٩ ، لو١٨:١٥ـ١٧).

لقد برر المسيح هؤلاء الذين أظهروا اهتمام عملى بالفقراء والمهمشين، بينما استنكر وأدان هؤلاء الذين لا يبالون بهم حتى لو كانوا كهنة ولاويين وذلك فى مثل السامرى الصالح فالمعيار الذى سوف يدانون به البشر هو موقفهم تجاه الفقير والمتألم وهكذا الذى استضافه: "وقال أيضاً للذى دعاه إذا صنعت غذاء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا أخوتك ولا

أقربائك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع والعرج والعمى" (لو١٤: ١٢ــ١٣).

نفس الشيء والمعنى توبيخ المسيح للشاب الغنى "يعوزك شئ واحد. اذهب بع كل ما لك وأعط للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالى اتبعنى حاملاً الصليب" (مر١٠: ٢١) أيضاً فى مثل الغنى ولعازر يعبر عن موقف المسيح تجاه الفقراء والمتألمين بطريقة واضحة (لو١٦: ١٩ــ٢٦). لقد كشف المثل عن الهوة الكبيرة بين الغنى والفقير بين الحياة المتلذذة فى القصور وبين الحالة المحزنة الدرامية التى كانت للعازر. ونستطيع أن نقول بلغة اليوم للشمال الغنى والجنوب الفقير لقد عبر المثل عن الظلم الاجتماعى والذى يهدد دائماً الحياة الإنسانية.

والصورة التى وصفها المسيح عن التغير الجذرى الذى حدث بعد الموت لكل من لعازر والغنى، لعازر يعيش حياة سعيدة والغنى يكتوى من النار بطريقة يصعب التعبير عنها، تعبر عن موقف المسيح الاستنكارى للظلم الاجتماعى منحازاً إلى جانب الفقراء. مرة أخرى يشدد المثل على أن المعيار الذى يدين به الله الإنسان هو موقفه تجاه المتألمين فى هذه الحياة.

(ب) المسيح والأغنياء :

لقد أدان المسيح الغنى وهذا ظاهر من التطويبات "ولكن ويل لكم أيها الأغنياء. لأنكم قد نلتم عزائكم. ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون (لو ٦: ٢٤ــ٢٥) ثم بعد ذلك يشدد المسيح على أنه من الصعب على الأغنياء أن يدخلوا ملكوت الله " ما أعسر دخول المتكلين على الأموال ملكوت الله". "مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله" (مر ١: ٢٤ــ٢٥). إن موقف المسيح السلبى ضد الأغنياء لا يعنى أن هناك

خلفية طبقية أى هناك تحامل عليهم، لكن لدى المسيح يتساوى الغنى والفقير فقد قال عن زكا العشار "وهذا أيضاً ابن إبراهيم" (لو١٩:٩). إن موقفه المضاد مرجعه العدالة الاجتماعية "ابعدوا عنى يا فاعلى الظلم" (لو١٩:٩).

إن عظة المسيح فى الأساس هى عظة ملكوت الله إنها رسالة تحرر وفداء، لذلك يُعطى أولوية مباشرة للمشاكل الوجودية للإنسان ومعنى الحياة الإنسانية. لدى المسيح معنى حياة الإنسان وسعادته ليست فى وفرة الخيرات المادية بل فى سلوكيات الكمال : "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٤:٤). لأن معنى الحياة المسيحية لا يوجد فى أن أتملك بل فى أن أكون[٦]، لذلك المسيح يحذرنا قائلاً : "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يُفسِد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب السارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (مت٦:١٩ـــ٢١). هذا لا يعنى أن المسيح يدعو الإنسان ليتوقف أن يعمل لكى يحصل على ضروريات الحياة. ولا مفهوم الكلام يعوق التقدم العلمى والتكنولوجي والنمو الاقتصادى ولا حتى رفاهية الإنسان. لكن المسيح أراد أن يشدد على أن مهمة الإنسان الأساسية ليست فى أن يكنز الماديات ولكن أن يدرك جيداً ما يتطلبه أصلاً (انحداره) الإلهى ومكانته وما عينه الله له. عندئذ يستطيع أن يُنظم علاقته بكل شئ بناء على ذلك، بحيث لا يُستعبد لشئ من هذه الأشياء المادية.

---

[6] انظر ايريك فروم ـــ الإنسان بين الجوهر والمظهر ـــ ترجمة سعد زهران ـــ سلسلة عالم المعرفة أغسطس ١٩٨٩.

إن استعباد الإنسان لما يملكه له نتائج خطيرة، إذ يقود إلى الفشل الذريع كذلك يدين المسيح الطمع "انظروا وتحفظوا من الطمع، فأنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله" (لو١٢:١٥) ومثل الغنى الغبى يكشف عن مدى عدم جدوى عبادة الممتلكات فى الحياة" (لو١٢:١٧ــ٢١).

إن معنى ومفهوم المثل يلخصه المسيح فى عدد ٢١: "هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله". لأن أى إنسان يضع هدفه الأسمى فى اكتناز الأموال والممتلكات سوف تأتى لحظة الموت وسيرحل عن كل هذا الذى اكتنزه. يركز المثل أيضاً أخلاق "الفقر" أمام الله، استعباد الإنسان للطمع والبحث عن معنى حياته فى الغنى يقود إلى هوة من الإفلاس الأخلاقى والوجودى.

لأجل ذلك لم يطلب المسيح من الإنسان فقط أن يرفض الاستعباد للماديات لكن يطلب شئ أفضل هو أن يتخلص الإنسان من القلق والصراع لأجل احتياجاته المادية محذراً "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون". الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأملوا الغربان.. تأملوا الزنابق كيف تنمو .. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا. فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم. وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه. بل اطلبوا أولاً ملكوت الله وهذه كلها تُزاد لكم" (لو ١٢:٢٣ــ٣١).

هنا المسيح يطلب من الإنسان أن يتخلص من القلق والاهتمام الزائد لتدبير احتياجات الحياة. الإنسان الذى يؤمن بالله لا يستسلم لقلق الحياة، على العكس، هناك حيث يُسيطر القلق والصراع والانزعاج المبالغ فيه للغد

يغيب الإيمان والثقة فى الله، فالصراع والقلق والانزعاج كلها تتمشى مع الغير مؤمنين.

سيكون خطأ كبير أن يتصور أحد أن المسيح بهذا الكلام يريد من الإنسان أن يواجه احتياجاته المادية باللامبالاة أو بالقدرية أو بكافة التواكل. على العكس، المسيح يطلب من الإنسان أن يعمل انطلاقا من إيمانه بالله ومن إيمانه بتحقيق ملكوت الله كإطار أساسى لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما قصده المسيح عندما قال : "اطلبوا أولاً ملكوت الله وكل هذا يزاد لكم" (لو١٢:١٥). وهكذا الإيمان بالله الذى يهدف قبل كل شئ إلى تحقيق ملكوت الله هو الشرط الوحيد لأى حلول عملية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية. وبسبب هذه الأهمية الجوهرية لاتجاه الإنسان فى الحياة، أما نحو الخيرات المادية أو نحو الله، فقد دعانا المسيح أن نختار بين المال أو الله وقال بالتحديد : "لا يقدر خادم أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (لو١٦:١٣) كلمة المال هنا (μαμωνάς) وهى آرامية وتعنى (مال، ممتلكات، غنى)، لذا يمكن أن تكون (κεφάλαιο) رأس مال. الإنسان مطالب أن يأخذ قرار حاسم أن يختار اختيار نهائى بين الله والمال، إما أن ينتمى لله أو ينتمى للمال، أن يخدم الاثنين هذا مستحيل.

من كل ما سبق نجد أن المسيح ضد الأغنياء والرأسمالية عامة لسببين هما: ــ

الأول :ــ الرأسمالية هى مع تقسيم الناس إلى طبقتين متضادتين، طبقة القليلين الأغنياء وطبقة الفقراء "اللعازريين" المساكين، وهم الأغلبية يُستغلون استغلالاً رهيبًا من الطبقة الأولى.

الثانى :ـ لأن روح الطمع تُغير اتجاه الإنسان نحو هدفه الأساسى أى أخلاق الكمال، وتقوده إلى إفلاس أخلاقى ووجودى. والشاهد على ذلك قيام الأغنياء من رجال الأعمال بممارسات غير مشروعة من أمثلتها الاستيلاء على قروض دون ضمانات من البنوك والهروب بها للخارج بالإضافة إلى حالات التهرب من دفع الرسوم الجمركية والضريبية، فضلاً عن السلوك الاحتكارى لبعض السلع الاستراتيجية وغيرها من سلوكيات الإفلاس الأخلاقى والوجودى.

وهنا سؤال يفرض نفسه : هل كان المسيح ضد التملك؟

إن الأناجيل الإزائية لا تعطينا موقفًا واضحًا للمسيح إزاء التملك، فهناك مواقف كان ضد التملك وأخرى لم يكن فيها ضد التملك.

فقد قال المسيح : "للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (مت٨:٢٠).ويطلب المسيح من تلاميذه أن يظلوا كما هو : "وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط، لا مزوداً ولا خبزاً، ولا نحاساً فى المنطقة" (مر٦:٨) ونفس الشئ طلبه من السبعين رسولاً : "لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا أحذية ...." (لو١٠:٤) ومن الغنى الشاب الذى سأله كيف يصير كاملاً : طلب منه المسيح أن يوزع ماله على الفقراء. "اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى حاملاً الصليب" (مر١٠:٢١). من هذه الأقوال نستنتج أن المسيح كان ضد اكتناز الأموال والممتلكات، لكن يوجد حالات ظهر فيها المسيح غير ذلك. فالمسيح لم يطالب زكا العشار بما طلبه من الشاب الغنى. لقد أظهر المسيح سعادته ورضاه لأجل عودة العشار الغنى ولكن لم يطلب منه أن يبيع كل ما له ويعطى الفقراء : "فوقف زكا زقال

للرب ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف. فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم، لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩:٨ـ١٠).

أيضاً لقد تبع المسيح أناس كانوا يساعدونه من أموالهم : "وعلى اثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الإثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض. مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين، ويونا امرأة خورى وكيل هيرودس وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن" (مت٨:١ـ٣ أيضاً انظر مر ١٥:٤٠ـ٤١). فالمسيح لم يأخذ موقفاً سلبى تماماً ولا إيجابياً تماماً من قضية التملك، لكن الموقف الأساسى للمسيح يظل هو الاحتياج للتحرر من سيطرة المال. فالمسيحى يمكن أن يكون لديه ثروات ومال ولكن لا يمكن أن تسيطر عليه، لأن الاستخدام الأمثل للمال هو فى شفاء احتياجات الإنسان وخدمته.

المسيح يرفض أن يصير المال وسيلة للقهر وسيطرة أقلية على الأكثرية[7] وعظة (١٢٣) للقديس كيرلس لإنجيل لوقا عن كيف يخلص الغنى؟ يوضح كيف أن المسيح لم يغلق الباب تماماً أمام الأغنياء، وأنه مهد لهم طريق للخلاص إذ نجده يقول : "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله، لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت الله". ولا يقصد المسيح بالجمل ذلك الحيوان، إنما ذلك الحبل الغليظ لأنها كانت عادة أولئك المتمرسون أن يسموا الحبل الغليظ جملاً. لكن لاحظوا أنه لم يقطع

[7] انظر قداسة البابا شنودة الثالث ـ العدالة الاجتماعية ـ ص١٧.

تماماً رجاء الأغنياء بل حفظ لهم موضعاً وطريقاً للخلاص، لأنه لم يقل أنه يستحيل على الغنى أن يدخل ملكوت الله بل قال أنه يمكنه إنما بصعوبة.

عندما سمع التلاميذ الطوباويين هذه الكلمات اعترضوا قائلين : فمن يستطيع أن يخلص؟ وكان احتجاجهم لصالح أولئك الذين لهم أموال ومقتنيات لأنهم (التلاميذ) كانوا يقولون أننا نعرف أن لا أحد سيقتنع بأن يتخلى عن ثروته وغناه، فمن يستطيع أن يخلص؟ لكن بماذا أجاب الرب!! "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله". لذلك فقط احتفظ لأولئك الذين يقتنون ثروات، بالإمكانية أن يحسبوا مستحقين لملكوت الله لو أرادوا، لأنه حتى ولو كانوا يرفضون تماماً التخلى عما هو لهم، لكن يمكنهم أن يبلغوا تلك الكرامة بطريقة أخرى. والمخلص نفسه أظهر لنا كيف وبأى طريقة يمكن أن يحدث هذا إذ قال : "اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية" (لو١٦:٩). لأنه لا يوجد شئ يمنع الأغنياء لو أرادوا أن يجعلوا الفقراء شركاء ومقاسمين لهم فى الغنى الوافر الذى يمتلكوه. ما الذى يعيق من له مقتنيات وافرة من أن يكون رءوفاً وممتلئاً بتلك الشفقة الكريمة التى ترضى الله. إننا سوف نجد أن الحرص على تتميم هذا العمل ليس هو بلا مكافأة ولا عديم النفع، لأنه مكتوب : "الرحمة تفتخر على الحكم" (يع٢:١٣).[٨]

هناك أيضاً سؤال يفرض نفسه : هل أدخل المسيح برنامج معين أو نظام معين لحل المشكلات الاجتماعية؟ لكي نعرف الإجابة على هذا السؤال لابد أن ننطلق مما قاله المسيح فى (لو١٢:١٣) عندما سأله أحد أن

---

[٨] القديس كيرلس الأسكندرى، تفسير إنجيل لوقا ــ الجزء الرابع ــ ترجمة د. نصحى عبد الشهيد بطرس ــ إصدار مركز دراسات الآباء نوفمبر ١٩٩٨ ــ ص ١٧٢،١٧٣.

يقاسمه الميراث مع أخيه، فقال له : "يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً" وأكمل قائلاً : "انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله" (لو١٢:١٥).

لا يعنى هذا أن المسيح لا يبالى بالمشاكل الاجتماعية لأنه مما سبق وجدنا كيف أن المسيح أظهر اهتماماً شديداً للفقراء وللعدل الاجتماعى. البداية لفهم موقف يسوع هو ما طلبه المسيح نفسه : "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦:٣٣) لقد أراد المسيح بهذا الطلب أن يقول أنه أتى إلى هذا العالم لكى يكرز بملكوت الله : "فقال لهم ينبغى أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأنى لهذا قد أُرسلت" (لو٤:٤٣).

إن الشرط المهم لحل المشكلات الاجتماعية لدى المسيح ــ هو التمسك بملكوت الله فى حياة الفرد والمجتمع الإنسانى . فالمشكلة الاجتماعية لا تُحل فقط بمتغيرات خارجية لكن الحل الأساسى والمُرضى لهذه المسألة هو ممكن بالاحتفاظ بملكوت الله فى قلوب الناس.

فلو تكوّن هذا التغيير العظيم والثورى فى داخل الإنسان ، ولو انتزعت الكراهية من النفس وحلت محلها المحبة، عندئذ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ستجد لها حلول . وهذا هو مفهوم ما قاله المسيح : " اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم " (لو١٢:٣١).

لابد أن نكرر على أن موقف المسيح هذا لا يعنى أن المسيحى يجب أن يأخذ موقف سلبى تجاه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يواجهها الإنسان . على العكس عندما شدّد المسيح على " اطلبوا أولاً ملكوت الله " فهو يطلب موقف فعّال من جانب المسيحيين لكى تُحل المشكلة الاجتماعية. وهكذا لو أن أحدًا استلهم وانقاد بروح ملكوت الله لا يمكن إلاّ أن يسأل

ويفتش ويبحث دائمًا وبطرق كثيرة مقدمًا الحل الأكثر صحة للمشاكل التى تشغل المجتمع . إذن وصية المسيح(اطلبوا أولاً ملكوت الله) لا تعنى التمنى والدعاء فى طلب ملكوت الله ولكن المحاولات العملية والمساهمة الفعّالة للمسيحيين فى تحقيق ملكوت الله الذى هو تحرر البشر من الألم والفقر والظلم والقهر والمرض مثلما كان يفعل المسيح على الأرض ، إنها رسالة الكنيسة اليوم. فالكنيسة تشجع المؤمن أن يواجه بشجاعة مشاكله الاجتماعية منطلقًا من محبته الحقيقية نحو الله ونحو أخيه الإنسان وبمساندة المنطق (العقل) والعلم والخبرة والمناهج والمؤسسات التى تجاهد لتقود المجتمع ليصبح أكثر إنسانية ، المطلوب منا أن نفحص أى نظام على هذه التعاليم فلو كانت مثلاً الرأسمالية تُقسم الناس إلى أقلية أغنياء تُسيطر على ألبية بائسة (لعازريين جُدد) فهى مرفوضة . وإذا كانت الاشتراكية تساعد على الخمول والكسل والتواكل من الأغلبية منتظرة من الدولة الدعم والنصيب وهم غير فعّالين فى المجتمع فهى أيضًا مرفوضة .

خاتمة :

إن شخص المسيح وتعاليمه وأعماله كما دوّنت الأناجيل هم المصدر الأساسى الذى نستقى منه السلوكيات الأخلاقية للفرد والمجتمع . والمسيح ــ كما رأينا ــ ينطلق من حدث جوهرى وهو تحقيق ملكوت الله ، ومن خلال هذا الحدث العظيم علّم وسلك وهو نفسه سلوكًا أخلاقيًا عظيمًا ، بل وطالب الإنسان (أفرادًا ومجتمعات) بأن يكون له نفس السلوك ونفس الروح ، إنها أخلاق ملكوت الله. وبناء على ذلك وجدنا أن السلوك الأخلاقى للإنسان يتأسس على عنصرين أساسيين هما : ملكوت الله ، ووصية المحبة المزدوجة أى نحو الله ونحو القريب . أيضًا ملامح هذا

السلوك الأخلاقى ينبع من الملامح التى نادى بها السيد المسيح وسلك بها فى حياته. إنها الملامح الاجتماعية والملامح السياسية وكما رأينا نؤكد على أن المسيح لم يسع لتأسيس نظام اجتماعى واقتصادى معين ، بل تجاوز الأنظمة والنظريات لأنه لم يأت لهذا الغرض ، فقد كان شغله الشاغل هو الإنسان والمجتمع مؤمنًا بأن جماعة المؤمنين (الكنيسة) هى أفضل مجتمع بشرى وعليها المسئولية بأن يتحول الإنسان ويتغير تغيرًا جذريًا وليس الإنسان فقط بل المجتمع كله .

إن وصية المحبة نحو الله والقريب تكشف بوضوح خاص أن الله يطابق نفسه بالإنسان وخاصة الإنسان المتألم .

التشديد على قيمة الإنسان نجده فى كل تعاليم المسيح ، خاصة عندما كرز بأن " السبت صار لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل السبت " (مر ٢٧:٢). هذه الكرازة هى كرازة ثورية إنسانية فى التاريخ لأنها تكشف عن أن المسيح هو ضد المادة (υλιαμό) التى تعتبر الإنسان Homo Phenomenon أو animal rational فهو يرى الإنسان كشخص إلهى Personam divinam، مخلوق على " صورة الله ومثال" . لذلك الإنسانية الحقيقية ليست لها مكان فى الأنا، لكن فى " الآخر " الذى يشاركنا إنسانيتنا. ومن هذا الإطار نستطيع أن نرى الملامح الاجتماعية لتعاليم المسيح ومواقفه تجاه الفقراء والمتروكين. لقد أدان الظلم ووقف بجانب المقهورين لأنه كان يهدف إلى إقامة مجتمع جديد .

لم يكن المسيح مصلحًا اجتماعيًا أو صاحب برنامج اجتماعى محدد، لكنه كان المرسل من الله لأجل خلاص الإنسان . لقد قدم للعالم القوة الروحية والأخلاقية ، بل قدم نفسه متحدًا بالإنسان لكى يخلق فيه إمكانية

التغيير الجذرى التى هى الأساس الضرورى لأى تغيير أصيل للمجتمع الإنسانى .

هذا يعنى أن السلوك الأخلاقى المسيحى يتطلب أناس مسئولين اجتماعيًا ، إذ يأخذون على عاتقهم تغيير الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ليتوائم مع روح ملكوت الله . الحاجة إلى أناس يأخذون موقفًا نقديًا تجاه الواقع مستخدمين إمكانيات الخلق على " صورة الله ومثاله " من عقل ومنطق وعلم وخبرة وإبداع وجهاد مستمر من أجل حياة أفضل، آخذين المسيح النموذج والموديل الأصيل للإنسان وللمجتمع الإنسانى .

التجسد والفداء

د. وهيب قزمان بولس

مقدمة :

إن الطعام الذى يتناوله الإنسان ، وكذلك العالم الذى يعيش فيه قد أُعطيا له من الله الخالق ، فكل ما هو على الأرض هو هبة الله المُحبة للإنسان ، والقصد منه هو جعل الله معروفًا لدى الإنسان وجعل حياته شركة معه . إنه الحب الإلهى الذى جعل الخليقة كلها علامة وأداة لحضوره وحكمته ومحبته " ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب " ..

الإنسان كائن جائع إلى الله[1]:

الإنسان كائن جائع إلى الله ، لأنه مخلوق على صورته ، ولا يشبع إلاّ منه وليس الإنسان وحده كائنًا جائعًا بل كل الخليقة تحتاج إلى الطعام . لكن الإنسان هو الوحيد الذى يبارك الله على ما يعطيه له من طعام وحياة ، وذلك استجابة لبركة الله له . فلقد بارك الله العالم (المكان) وبارك الإنسان كما بارك اليوم السابع (الزمان) ، وهذا معناه أنه ملأ كل ما فى الوجود من حبه وصلاحه .. جعله " حسنًا جدًا " .

إن رد الفعل الطبيعى الوحيد للإنسان ، بعد ما أعطاه الله هذا العالم المبارك المقدس، هو أن يبارك الله ويرفع إليه الشكر .. لذا سُمى الإنسان: "كاهن الخليقة " إذ يقف فى وسط العالم ، مباركًا الله على كل نعمه وخيراته.

---

[1] عن كتاب " من أجل حياة العالم " للأب ألكسندر شميمان ـــ منشورات النور ١٩٩٤.

عصيان الإنسان ، وتجسد المسيح وفدائه:

إن رواية العصيان فى الكتاب المقدس مرتكزة على الطعام ، فلقد تناول الإنسان الثمرة " الحرام " ، التى لم يعطها الله له ولم يباركها . وبذلك قطع الإنسان شركته مع الله ..

وهكذا اختارت البشرية عدم مقابلة حب الله بمثله ، إذ أحب الإنسان العالم ، أحبه كغاية فى ذاته ، لذا لم تعد حياته حياة شكر لله . ولم يعد الإنسان إفخارستيًا ، وكَفَّ الإنسان عن أن يكون كاهن العالم وأصبح عبدًا للعالم ، وقاد العالم كله إلى الظلمة .. فليست خطية الإنسان أنه عصى الله فقط ، بل إنه لم يعد جائعًا لله ولله وحده . واعتبر الله والحياة فى تعارض..

ومع كل هذا لم يعاملنا الله بحسب خطايانا، بل برحمته. إذ حوّل لنا العقوبة خلاصًا، إذ لما غصبه حبه تجسد وتأنس لأجلنا لكى يخلصنا ويفدينا مُخرجًا من الآكل أُكل ، ومن الجافى حلاوة ، ومن الموت حياة ... واهبًا لنا القيامة والحياة الأبدية .

ماهية التجسد :

التجسد هو ظهور الله فى جسد بشرى ، باتحاد كلمة الله بطبيعتنا البشرية . أى أن الذى جاء إلى عالمنا هو ابن الله الوحيد، والمولود من الآب قبل كل الدهور ، تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ..

ففى بطن العذراء (المعمل الإلهى) أخذ الابن عينة من العجينة البشرية، واتحد بها وهكذا اتحد بالبشرية كلها . وهذا هو جوهر سر التجسد ، ولذا سُمى " سر " ، فبتجسد المسيح اتحد بالطبيعة البشرية كلها .

إن كلمة الله أى حكمته وفكره هو الابن المولود من الآب، كما يولد النور من النور، فهى إذن ليست ولادة بالمعنى المادى لكنها ولادة روحية،

لأن الله روح وابن الله مولود من الآب قبل كل الدهور، أى قبل أن يبدأ الزمان وقبل كل خليقة. لأننا لا نستطيع أن نتصور الله بدون فكره وحكمته وقوته. وإلاّ كيف تتصور وجود الشمس بلا شعاع أو الينبوع بلا ماء ؟!!

[السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق الذى للطبائع (الإلهية والبشرية) التى أتت معًا إلى موضع واحد بغير اختلاط] (ثاؤطوكية الأربعاء) .

[كل عجينة البشرية أعطتها (السيدة العذراء) بالكمال لله الخالق وكلمة الآب] (ثاؤطوكية الخميس) .

ولقد عاشت الكنيسة منذ نشأتها خبرة تجسد المسيح هذه ببساطة وفرح، وكانت أساس كرازتها، فنجد القديس يوحنا الحبيب يفتتح رسالته الأولى قائلاً : "الذى كان من البدء، الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا. الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (ايو ١:١-٣).

التجسد عرس روحى:

لقد شبه الرب يسوع مجيئه إلى العالم بعرس روحى فائق يكون هو فيه فى موضع العريس، وتكون فيه البشرية فى موضع العروس، ذلك فى عدة مواضع كما فى مثل العذارى ومثل الملك الذى صنع عرساً لابنه:

مثل العذارى :"يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس ... ففى نصف الليل صار صراخ : هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه ... والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب" (مت٢٥: ١ـــ١٠).

مثل الملك الذى صنع عرساً لابنه :"ويشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عُرساً لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العُرس ... قائلاً : كل شىء معد. تعالوا إلى العُرس" (مت٢٢: ١ـ٤).

هذه الأمثلة توضح الحب الفائق والفرح الغامر المذخر لنا فى سر مجىء المسيح إلينا بل وإتحاده بصميم طبيعتنا وحلوله فينا. **فمعروف أن العُرس فى الحياة البشرية هو أكثر مناسبة يظهر فيها الحب والفرح.**

+ يعتبر القديس كيرلس الكبير أن غاية مجىء المخلص إلى العالم هى أن يتحد بهذه الطبيعة العاقر ويخصبها لكى تأتى بثمار الروح.

[لقد نزل كلمة الله من السماء، لكى يتحد بطبيعة الإنسان بصفته العريس فيجعلها بذلك تثمر الثمار الروحية، ولأجل ذلك تُدعى البشرية عروساً كما يُدعى المخلص العريس][٢]

+ يعبر المغبوط أغسطينوس عن نفس المعنى قائلاً :

[إن المسيح يدعو تجسده "أى تجسد الكلمة" عُرساً لأنه فى شخص الناسوت المتحد به قد اقترنت الكنيسة بالله].

فباتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح قد بدأ سراً العرس الإلهى الذى فيه نتحد نحن جميعاً مع الله. [ففى هذا الناسوت قد اتحدت الكنيسة بالكلمة].[٣]

---

[٢] تفسير يو٢: ١١ .

[٣] تفسير المزمور الرابع للمغبوط أغسطينوس.

التجسد وبنوتنا لله:

جاء المسيح إلى العالم لكى يهبنا حياته الإلهية التى هى الحياة الأبدية "جاء لكى نحيا به" (١يو٤:٩) أى لنحيا بحياته. جاء لننال التبنى، أى لنصير " أبناء الله" (غل٤:٥-٦).

"لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أى المؤمنون باسمه ... الذين ولدوا ... من الله" (يو١:١٢-١٣).

ويقول القديس اثناسيوس :[هذه هى محبة الله للبشر : إن الذين صنعهم، قد صار لهم أباً أيضاً بعد ذلك بحسب النعمة، وقد صار لهم أباً ـ كما قال الرسول ـ عندما حصل الناس المخلوقون على روح ابنه فى قلوبهم صارخاً "أيها الآب أبانا" (غل٤:٦). فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطاناً أن يصيروا أولاد الله][٤]

المسيح فينا [٥]:

هدف التجسد أن يجعلنا أبناء الله ؛ [لقد صار ابن الله ابنًا للإنسان لكى يصير الإنسان أيضًا ابنًا لله][٦]. والبنوة لله هى عطية موهوبة لنا، بوجود المسيح فينا بالمعمودية ، وهذا معنى قول الرسول " لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح " (غل٣:٢٧). " فنحن نصير أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع " (غل٣:٢٦) لأننا لبسنا المسيح بالمعمودية ، أى صار المسيح موجودًا فى داخلنا . فكما حلّ ابن الله فى بطن العذراء ووُلد

---

[٤] المقالة الثانية ضد الأريوسيين، فقرة٥٩

[٥] عن الكتاب الشهرى، التجسد والبنوة، د. نصحى عبد الشهيد : بيت التكريس لخدمة الكرازة يناير ١٩٩٧.

[٦] (القديس إيريناؤس : ضد الهرطقات ٣:١٠:٢) .

منها متجسدًا بالروح القدس ، هكذا يولد المسيح فينا أى يتصور فينا روحيًا، لكى نصير أبناء الله كقول الرسول : " يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم " (غل٤:١٩) .

وأن يكون المسيح فينا ، معناه أن توجد علاقة شخصية بين المسيح ابن الله وبين كل واحد منا، وأن نعرف المسيح معرفة شخصية ، ويصبح المسيح بالنسبة لنا إلهًا شخصيًا حيًا حقيقيًا حاضرًا فينا ومعنا نستطيع أن نحبه ونثق بحبه ورعايته وقدرته ونتكل عليه فى حياتنا اليومية ، وأن نسلم له كل الحياة لكى بإيماننا به ، نحيا لا نحن بل المسيح يحيا فينا (أنظر غل ٢:٢٠).

التجسد والتوبة

❖ المحبة المتجسدة :

الله المحبة يحب الإنسان، حتى قبل أن يتجسد ابن الله من العذراء. فالله يحبنا لأن المحبة طبيعته، ولكن البشرية لم تكتشف محبة الله المتدفقة نحو الإنسان إلا عندما إنسكبت المحبة الإلهية من قلب الله، متجسدة فى شخص ابنه يسوع المسيح ...، إذ أراد الله أن يدخل إلينا من خلال طبيعتنا. ولذلك أخفى مجد لاهوته وهذا تواضع منقطع النظير. وجاء يطلب حبنا بمنتهى الرقة ... كل هذا لكي يقول للإنسان بلغة الحب والمشاركة أنه محبوب عند الله. وأنه جاء يشاركه آلامه ويحمل أوجاعه وخطاياه ...

إنها محبة الله الغنية السخية التى تعطى بلا حدود، هى وحدها التى تفسر بذل الله لابنه الوحيد من اجلنا "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو٣:١٦)، فالكلمة صار جسداً لكى نعرف أننا محبوبون لديه، وان الله يطلب حبنا كاستجابة لنداء حبه. من أجل ذلك احتجب الله فى جسد

يعطى الإنسان الحرية فى قبوله فى شخص ابنه يسوع المسيح هذه هى الحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا بمجىء ابنه فى الجسد وقد جاء المسيح لكى نحيا به ويحيا الله فينا. فالله الكلمة قد اتحد بطبيعتنا البشرية بغير انفصال[٧]. الله قد اتحد بنا بدافع من حبه الفائق الوصف. وهو يريد أن نثق بكل قلوبنا أنه قد عبر الهوة التى كانت تفصلنا عنه بسبب الخطية. عبرها بالتجسد بأن صار إنساناً، بأن صار ابن البشر، الذى صار لنا أخاً وصديقاً ... ، وهو يريد بذلك أن نبادله حباً بحب، وأن نعطيه قلوبنا لكى يجعلنا شركاء حياته الإلهية، شركاء مجده الإلهى "لنصير شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط١:٤).

❖ المسيح المحب جاء لأجلى :

الله فى حبه يتنازل لكى يطلب الإنسان فى شقائه وضلاله، لكى يخلصه بأن يسكب فيه حياته إن قبلها : "المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة"، هذا عو الصوت المدوى فى الإنجيل كله. والله لم يكف عن أن يحبنا وينتظر استجابتنا لنداء الحبة الأبوية. هذا ما يجب أن نصدقه ونقوله لنفوسنا ولكل إنسان مراراً وتكراراً لأن الإنسان يحتاج أن يسمع هذا الخبر ــ خبر حب المسيح له شخصياً، ولكن يتبقى أن نستجيب لحبه لكى يتم اللقاء الشخصى بيننا وبينه.

❖ ماهية التوبة :

إنها استجابة قلب الإنسان لحب الله المتدفق يعبر عنها بكلمة التوبة، فإن كان الله قد عبر عن حبه لنا بأن أتى متجسداً لكى يطلبنا ويخلصنا من

[٧] يقول القديس كيرلس أن اتحاد الكلمة المتجسد بنا هو اتحاد بغير انفصال ولا امتزاج ولا تغيير.

ظلامنا وهلاكنا فتعبيرنا عن استجابتنا لهذا الحب يكون بأن نطلبه ونرجع إليه من كل قلوبنا، فالتجسد يعنى إلتفاتة المسيح نحونا بالحب الفائق، والتوبة تعنى التفاتنا نحوه بقلوبنا الضعيفة الهزيلة ، التفاتة صادقة. وبهذا نلتقى بالمسيح فى أعماق نفوسنا مهما كانت خطايانا، فعندما تخترق أبواب حبه قلوبنا تنقشع منها سحابة الخطايا التى حجبت وجهه عنا طويلاً. "أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن لا يمكث فى الظلمة" (يو ١٢:٤٦).

❁ نصرة المسيح أقوى من الخطية :

إن يسوع يعطف على الخاطئ عطفاً بغير حدود،حتى يجعل الخاطئ يتحول من عشق شهواته ونجاساته إلى عشق المخلص. وهذا الحب الذى يدخل قلب الخاطئ الذى يقبل حب يسوع هو الذى يطهر قلبه. إذ أن محبة المسيح أقوى من الخطية والموت، لكل من يؤمن به، إنه يبرر الفاجر. إن المسيح ينادى كل إنسان ويدعوه إلى التوبة، لأنه قدم نفسه عن خطية جميع الخطاة، ودمه الذى هو شهادة حبه الإلهى الفائق ـ يطهر بلا توقف كل إنسان يقبل حبه ويرجع طالباً الغفران ـ ولذلك ليس لنا عزر فى أن نمتنع عن المجيء إلى الرب وطلب وجهه بحجة أننا أشرار. هذه حجة وهمية وحياء كاذب ... لأنه صديق الخطاة. لذا فإن هروبى من صوت المسيح المحب معناه أننى أرفض محبته ولا أُقدر حنانه ومراحمه التى لا تهدأ فى طلبى.

وإن قال البعض أنهم يعجزون عن مقاومة الخطية، فإن المسيح بقوة روحه وحبه وحياته الأقوى من الموت والأقوى من سلطان الخطية، هو الذى سيتولى تطهيرقلوبنا وتقديس مشاعرنا ومرافقتنا كل الطريق لكى ينتصر فى أعماق حياتنا على قوة الخطية، لذلك ينبغى أن نثق به حقاً

كمخلص لنفوسنا على الدوام مهما أنغلبنا، فمادمنا نطلبه فإنه سيقيمنا ويضمد جراحاتنا ويشرق فى داخلنا بنور قيامته إلى أن يملك أعماق قلوبنا.

❊ التوبة تحول نحو المسيح واخوتى :

ولكن التوبة ليست مجرد ترك الخطية بل تحول الإنسان من ذاته ومن الانحصار فى نفسه وشهواته وأطماعه، إلى الله كغاية وهدف لوجوده. واستجابة لحب الله المتنازل المتعطف بالتجسد بمحبة صادقة من كل القلب ــ اى جوهر التوبة أن يستجيب الإنسان لحب المسيح المعطى نفسه لنا، بأن نعطى ذواتنا له فى حرية المحبة فالعطاء لابد أن يقابله عطاء، والحب لابد أن يقابله حب حتى يتم اللقاء والاتحاد.

❊ التجسد ومحبة الاخوة :

لن تكون استجابتنا لمجيء المسيح إلينا صادقة إن لم نحبه لذاته، ونعطيه نفوسنا كما أعطى نفسه لنا. وهذا العطاء من جانبنا محكه المحبة النقية للآخرين. المحبة التى لا نطلب فيها مصلحتنا أو كرامتنا أو أية منفعة لنا بل المحبة التى بها أحبنا المسيح، المحبة المجانية التى لا ترجو مقابلاً ولا تنتظر شكراً. هذه المحبة للآخر الذى يقابلنا كل يوم ... هى المقياس العملى لمحبتنا لله. "فمن لا يحب أخاه الذى يبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره" (ايو٤: ٢٠).

لذلك فنحن محتاجون دائماً أن نراجع أنفسنا أمام محبة الله غير المحدودة لكى نكتشف احتياجنا العميق للتوبة؟ أى للتحول من التمسك بذواتنا إلى اعطاء ذواتنا للمسيح الذى أحبنا، ومن خلاله وبقوته نعطى

ذواتنا لإخوتنا بنى البشر. وبذلك يتحقق قصد الله من مجيء ابنه فى الجسد لأجلنا.

* كيف يفدى المسيح الإنسان والعالم [8] ؟

إن سر التجسد لا يُفهم ولا يُعاش بدون سر الفداء . فبسبب الخطية كان لابد لسر تجسد الابن من أن تكون غايته الفداء، كما نقول فى القداس الإلهى: [حبك غصبك وتجسدت لأجل خلاصنا] (الخولاجى)

كان لابد أن يأخذ المسيح على عاتقه كل خطايا البشر ويقضى عليها ويهبنا القيامة معه أيضًا ، ولكن كيف ذلك وهو القدوس ؟ إن الحب وحده هو الذى يمكنه أن يفسر هذا السر !

إن المسيح يستقبل الخاطئ ويرحب به قائلاً له " إنى لست فقط لا أدينك، بل إنى أحمل خطيئتك عنك. وأهبك الحياة الأبدية . أيضًا هكذا باتحاد المسيح بجميع أولاده ، يحمل خطايانا فى جسده ، " لأنه جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه " (٢كو٥:٢١) . فإن حبه لا متناه ، لأنه يشمل كل البشر ، وهو حاضر معهم بتجسده ويحمل خطاياهم ، دون أن يفعل خطية واحدة .

+ [الكلمة .. إذ قدم للموت ذلك الجسد الذى أخذه لنفسه ، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة (على الصليب) ، فقد رفع حكم الموت فورًا عن جميع من ناب عنهم ، إذ قدم عوضًا عنهم جسدًا مماثلاً لأجسادهم] [9].

+ [لأنه بذبيحة جسده ، وضع حدًا لحكم الموت ، الذى كان قائمًا ضدنا .. " فإذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضًا قيامة الأموات ، لأنه كما آدم

[8] عن كتاب " المسيح حى " ، ميشيل كواست ، ترجمة الأب روفائيل خزام ـــ القاهرة ١٩٨٩.

[9] تجسد الكلمة : ٩:١ .

يموت الجميع ، هكذا في المسيح سيحيا الجميع " (اكو١٥: ٢١، ٢٢).. هذا هو السبب الأول الذى من أجله تأنس المخلص] [١٠].

كم كانت آلام لمسيح لأجلنا ؟! إنه تألم فى أعماق قلبه واضطرب إلى حد أنه تضرع إلى أبيه أن يخلصه من هذه المواجهة المفجعة : "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس!" (مت٢٦: ٣٩).

وهكذا كان تجسد المسيح مثمراً ... ، وفى الجلجثة، كان كل اعضاء البشرية مجموعين فيه عندما كان مسمراً على الصليب، وهكذا كان فداء المسيح للعالم ... ورجوعه إلى أحضان الآب حاملاً الإنسان معه.

حمل الصليب :

إن الحمل الحقيقى للصليب لم ينته، لأنه ذو بعدين : اجتازه المسيح منذ ألفى سنة على طريق أورشليم، واليوم تجتازه البشرية جمعاء ــ أعضاء جسد المسيح التى تسير على طريق الآلام. وهذا الطريق يمر بجميع الطرق البشرية، طرق التاريخ على مر الزمن ... إن يسوع المصلوب لأجلنا يمر اليوم بجسد الإنسان الممزق، وبقلبه المنقسم، بكيانه المتفجر ...، بالأكواخ والمستشفيات والسجون ... الخ .

الفداء نشاط إلهى دائم، وسر حب مستمر يدوم دوام تاريخ البشرية. فقد رأى يوحنا الحبيب المسيح "حمل قائم كأنه مذبوح" .. لذلك فعمل المسيح الفادى لا يزال مستمراً. والآن فالسؤال الذى يطرح نفسه علينا هو : كيف يمكن للإنسان الحر والمحب أن يدخل فى قلب هذا السر ويحياه كمنتصر، مع يسوع المسيح المنتصر؟.

---

[١٠] المرجع السابق ٦،١٠: ٥ .

جهادنا مع الفادى ضد الخطيـة :

أول جهاد نباشره هو الجهاد ضد الخطية، ليس بوسائلنا الخاصة ولكن مع المسيح أيضاً ... فقد أرسل الله ابنه ليحررنا من خطيتنا، وأخذها على عاتقه حتى نحصل على الغفران.

إن يسوع هو الذى ينتظر الإنسان فى كثافة حياته اليومية، فى كل أبعاد هذه الحياة التاريخية. ولم يترك الإنسان ييأس مهما كانت خطيته! بل إن المسيح يكون حاضراً معه فى مواجهة الخطية، وينتظر صامتاً جواب الإنسان على حبه المخلص. وهذا الجواب هو فعل الإيمان الأساسى.

يا يسوع أؤمن أن حبك أقوى من خطيتى و خطية إخوتى، أؤمن أنه لا توجد خطية لم تتحملها، وأؤمن أننا حصلنا على الغفران، لأن حبك المنتصر قضى على الشر والموت كما تحرق النار الخشب.

* ولكن اليوم وبحرية، آتى غليك معترفاً بخطيئتى وخطية اخوتى، وفيك أقدم توبتى للآب حتى أحصل من يديك على الحياة الجديدة : حياة الحب الطاهر التى أرجعتها للبشرية جمعاء بالصليب والقيامة.

يجب على الإنسان أن يحيا يومياً هذا الموقف الروحى، ولكن لابد له أيضاً أن يجعل خطواته فعالة بسر التوبة، هكذا يدخل الفداء من جديد فى الزمن، فى حياة الإنسان وحياة العالم.

* نموت مع فادينا كل يوم لنحيا معه :

إن قبولنا الحقيقة لحدودنا : حدود جسمنا وذهننا وعملنا وحياتنا كلها ..، وأمانتنا لخدمتنا فى هذه الحياة إزاء الأشخاص والأحداث لأجل المسيح ، لبناء العالم الذى يريده الآب ، يقيسان ثقل عذاباتنا ودرجة حيويتنا العميقة .

إن المكان الأصيل لعذاب الإنسان وموته هو فى إتمام عمله البشرى، لأن المقصود هو موت حقيقى، فإننا نمضى زماننا فى الموت ومع المسيح: " لأننا من أجلك نُمات كل النهار ، حُسبنا مثل غنم للذبح " (رو٨: ٣٦، مز ٤٤: ٢٢) حتى نحيا حياة أفضل .

من يريد أن يحتفظ بحياته ويبقيها لذاته يفقدها ، ولكن الذى يقبل كل يوم تقدمة حياته ذاتها بملىء إرادته ينمو وينتصر : " من أضاع حياته من أجلى يجدها " (مت١٠: ٣٩) .

ولكن هبة الذات لا يمكن أن تتحقق للآخرين بدون تخلى عن الذات ؛ بدون موت الذات واقعيًا .. ، نحن للأسف مركزون على أنفسنا، نجعل ذواتنا إلهًا على حساب الله . وفى الواقع ، علينا أن نتحد بالرب الذى تأنس لأجل خلاصنا . لابد من أن تكون حياتنا جهادًا يوميًا حتى يصبح المسيح هو مركز حياتنا لا أنفسنا ، وهذه هى التضحية الجذرية والزهد اليومى ، الذى هو الموت لأنفسنا حتى تنمو الحياة فينا وفى غيرنا ، أكثر فأكثر .. وهذه ولادة دائمة مؤلمة ، ولكنها عجيبة : " يا أولادى الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم " .

لقد أخذ يسوع على عاتقه كل آلام البشر وموتهم فى الماضى والمستقبل، وليس على المسيحى إلاّ أن يشترك بدوره طوعًا مع المسيح فى هذه الآلام الفريدة والكاملة بألمه اليومى الصغير ؛ وبموته هنا ذاته كل يوم سوف يُصل فى المسيح إلى الحياة ، الحياة الحقيقية التى هى حياة الإنسان المفرحة ، المتجلية والمقدسة ، الحياة الأبدية ..

سر الفداء والقيامة والفرح :

* سر الفداء هو أيضاً سر القيامة، لأن فعل الصليب لا ينتهى عند القبر، بل يدوم إلى ما بعد الموت، ويمتد إلى فرح الحياة الأبدية ...

* إن المسيح هو المنتصر دائماً على الخطية والعذاب والموت، وفى المسيح كل إنسان بل والبشرية جمعاء، الماضية والحاضرة والمستقبلة، قد ماتوا وقاموا من الأموات "ونحن أمواتاً بالخطية أحيانا مع المسيح ... وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوع" (أف٢:٥ـ٦).

* هكذا لم يغب عن انتصار المسيح شىء ولا شخص ولا خطية، ولا شىء بقى خارج فدائه الناجح إلى الأبد، فقد جمع فى شخصه كلاً من البشر والعالم وقد قدم ووحد "الكل فى الله وأقام الكل".

* لأن الفرح الحقيقى يكمن فى هدوء وسكينة روح الإنسان بل وسلامه العميق، الذى هو أكبر من قلب أو من جسد ممزق، وأكبر من عذابه ومن خطيته وخطية اخوته دون أن ينساها أو ينكرها، ودون أن يكف عن جهاده المتواصل مع المسيح بل يؤمن بكل قواه بانتصار المخلص، الذى هو اساس انتصاره الدائم.

* إن الإنسان الذى اختبر هذا الفرح الحقيقى، قد اصبح فى المسيح، الإنسان الذى يريده الآب، لأنه وصل إلى قامة الإنسان الحى الحقيقى المصلوب والقائم مع المسيح، لأنه تقدم إلى نهاية اتحاده بسر المسيح ليس فقط بسر التجسد، بل أيضاً سر الفداء والقيامة والحياة الأبدية.

سلسلة دراسات آبائية التى صدرت

١-٦ : دراسات آبائية صدرت ونفدت .

٧ : تعاليم آبائية فى موضوعات روحية واجتماعية للبروفيسور خ. كريكونيس

٨ : القديس مقاريوس الكبير: حياته وتعاليمه، أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية ١٩٩٥ (نفد)

٩ : التبنى للآب عند آباء الكنيسة ــ أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية ١٩٩٥

١٠ : القديس أغناطيوس ــ حامل الإله ــ حياته وتعاليمه د. موريس تاوضروس

١١ : مقدمة فى علم الآباء (طبعة ثانية) (نفد)

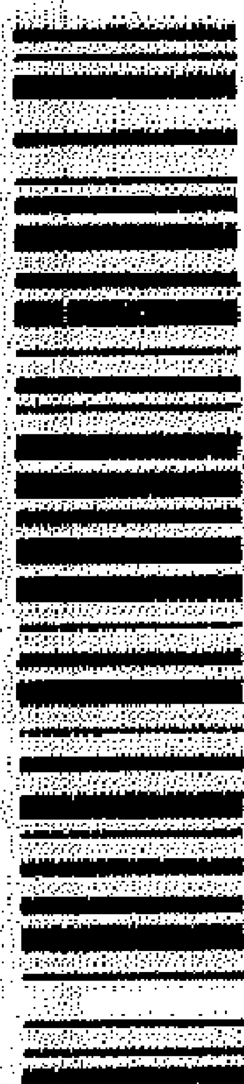
١٢ : الآباء الرسوليون ــ أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٦م

١٣ : القديس كيرلس الأسكندرى: حياته وتعاليمه ــ أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٧م.

١٤ : أسرار الكنيسة : أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٨م.

١٥ : مدخل إلى علم الآباء ــ د. نصحى عبد الشهيد

١٦ : المسيح ورسالته : أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٩م.





يُطلب هذا الكتاب من :

✞ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت

✞ بيت التكريس ت : ٤٨٣٦٣٨٩.

✞ ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم